سالم اليامي

حكومة بنت إكحيلان



رواية

بيسان

حكومة
بنت إكحيلان

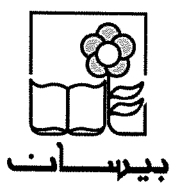


سالم اليامي

salam131@hotmail.com

حكومة بنت إكحيلان

رواية



● اسم الكتاب: حكومة بنت إكحيلان (رواية)

● تـــأليـــف: سـالـم اليامي

● الطبعة الأولى: آذار (مارس) 2013م

ISBN: 978 - 614 - 417 - 951 - 2

● الناشـر: بـيسـان للنـشـر والـتـوزيـع والإعـلام
ص. ب: 5261 ـ 13 بـيـروت ـ لـبـنـان
تلفاكس: 351291 ـ 1 ـ 961
Email: info@bissan-bookshop.com
Website: www.bissan-bookshop.com

الإهداء

إلى روح والدتي التي رحلت عنا
قبل شهر إلى عالمها الروحاني

إلى الروح التي أضاءت لي ظلمة السنين
بنورها المشع.. وصفاءها النقي

لك دائماً: بوحي... وخفقي... وإلهامي!



(1)

ولدت حكومة ذات نهار صيف ساخن، كان أبوها «إكحيلان» وقت ولادتها موظفاً يعتز بوظيفته الحكومية فلم يجد إسماً يسمي به مولودته غير إسم «حكومة».

اقترنت حكومة بزوجها الأول عن قناعة وحب، وتطلقت قبل أن تضع مولودها منه، وعندما أنجبت ذلك المولود أسمته «ضايع».

ثم تزوجت زوجاً آخر لم تكن تحبه ولا هو يحبها وأنجبت منه مولوداً أسمته «جايع».

تطلقت من زوجيها اللذين أصبح لكل من ابنيهما ضايع وجايع سلالات وعوائل وقبائل تحت مسميات «آل ضايع» و«آل جايع».

(2)

في ليلة مظلمة لايسمع فيها سوى أصوات الكلاب النابحة وبعض نهيق حمير داخل أحد أحياء تلك القرية الذي اتخذته حكومة مكانا لسكنها الدائم، قام ضايع بزيارة والدته متخفياً وخوفاً من خطر الكلاب التي تهاجم كل من يأتي في ساعات الليل المتأخرة.

وجد ضايع أمه غارقة في التأمل وسط شرفة قصرها الذي يطل من جهات مختلفة على القرية التي أصبحت ممزقة ومقسمة بفعل الصراع بين قبائل آل ضايع. . وآل جايع.

قبَّل جبهة أمه ومسح دمعة سقطت من عينيها حين رأته يزورها متخفياً وخائفاً وسط عتمة ليل رحل غسقه باتجاه ظلمة أشد، وكلاهما، ضايع ووالدته، من وقت لآخر يرمقان القرية بنظرات حزينة، وكأنها لم تعد قرية حكومة التي شعر الناس فيها في مراحل جميلة من حياتهم بأنها للجميع، حين كانوا يتبادلون المحبة والود والوفاء والثقة ويتعايشون بسلام، قبل أن يشذ جايع وقبيلته ويجعل من أخيه ضايع وقبيلته أعداء يجب محاربتهم والإستعانة بكل غريب عليهم.

كانت حكومة تشعر بخطأها حين تركت العنان لجايع والتابعين له أن يشوهوا العلاقة الودية بين فئات شعبها وهي المعروفة بحكمتها وسياستها والتي تربت في أعرق البيوت عند والدها «إكحيلان» المعروف بالحكمة والدهاء وبعد النظر.

لمحت حكومة في عيني ضايع شيئاً خطيراً يقول لها، إن لم تتخذي قرارك الآن يا حكومة لتوقفي العبث الذي يغرسه جايع وقبيلته في جسد القرية وإلا فلن تبقى القرية لأهلها ولن تبقى حكومة سيدة القصر!

(3)

الليل هادىء، إلا من زقزقة عصافير وسط أعشاشها، حين نظَرتْ حكومة إلى ابنها ضايع بنظرة حازمة ومتسائلة وهي تضع على طاولته فنجان قهوة ثم قالت:

ما بِكَ يا ضايع.. تائه.. يائس.. محبط.. متوتر.. محتقن.. وكأنك تريد أن تنتقم ؟!

ضايع: يا والدتي.. كنتِ على مر السنين أمنا الحنون، يضمنا حضنك بكل دفء..

نتخاصم وتكونين بيننا الحكم العادل، ونتقاسم لقمة العيش التي تطبخها يداك الكريمتان، وبرغم أنني كنت الأكثر بَراً بك إلا أنك!

حكومة: إلا أنني ماذا... هل تريد أن تقول لي أنني سبب معاناتك ؟!

ضايع: نعم يا أمي نعم..أنت سبب معاناتي.

حكومة: كيف ؟!

(4)

يتململ ضايع ويتلعثم ثم يرجع بظهره الى الخلف ويتوقف عن الكلام، فتنهره حكومة بقوة لتذكره أنه ابن «كرم ابن شجاع» الذي لايخاف في الحق لومة لائم، وفجأة وبدون تركيز يسكب ضايع فنجان القهوة ساخناً في جوفه ليستجمع قواه ويسترد شجاعته ثم ينتصب جالساً ليتحدث بغضب وصوت مرتفع:

لم أكن يا والدتي يوماً سبباً من أسباب أزماتك التي مررتِ بها مع الأقارب والأباعد، بل كنت معك حصناً منيعاً لك ضد كل من

يحاول أن ينال منك، ولم أطلب منك ثمناً لتضحياتي الصادقة.

كل المشكلات والعثرات التي مررتِ بها كانت من أسباب جايع وأبنائه، في الوقت الذي كنت أنا وأبنائي نذود عن بيتك بدون ثمن ونمحِّضكِ الحب الخالص والولاء الصادق.

وفي الوقت الذي كنت وأبنائي ننتظر منك شكراً وثناءً على وفاءنا وتضحياتنا، فإذا بنا نفاجأ دائماً، أنك تمنحين جايع وأبناءه الكثير من المزايا والسلطة والدعم الكامل، بالرغم من أنهم يبادلونك الحب المزيف ولا يعاملونك كأم مثلما نفعل نحن، بقدر ما ينظرون لك كحصالة نقود يجب أن تدفع لهم، وعندما تنتهي النقود ينتهي الولاء لك، وقد أصبحوا مفضلين عندك وملكوا كل مشاعرك، وأصبحت أنا وأبنائي وقبيلتي أغراباً في مملكة قريتك!

(5)

حكومة: أسمع كلاماً غريباً هذه الليلة.. يا ضايع!

ضايع: والمشكلة أن حبنا لك جعلنا نتجرع مرارات الصبر، لأن مايفعله جايع وقبيلته وكل أزلامه الذين جلبهم إلى قريتنا، قد غرس جروحاً عميقة في النفوس لم تندمل، مع أننا قادرون على صناعة الانتصار بسهولة ضد كل من يؤذينا، لكنه يردنا الإحترام لك وخوفنا من الله: أن يقال أننا عاقون لوالدتنا وخونة لقريتنا..!

نحن آل ضايع أبناء كرم بن شجاع... الرجل الذي لا يغير مبادئه ولا يتنازل عن حريته وكرامته.

ولسنا مثل آل جايع أبناء «مراوي بن ملفوف» وكلاهما (كرم ومراوي) كانا زوجين لك وتعرفينهما جيداً حق المعرفة أليس كذلك؟!

(6)

شعرت حكومة أن القرية تمر بمرحلة صعبة، وأن خللاً كبيراً يعصف بها. لكنها لاتريد أن تفقد الثقة في نفسها أمام ولدها الثائر وهي تدرك أنه على حق وأنها تتحمل أسباب الخطأ والقصور والخلل، ثم أمرت الخادمة أن تحضر لهما كأسين من شراب الليمون عله يهدىء الأعصاب الساخنة وتكلفت هدوءاً لا يعكس حقيقة النفس المرتبكة ثم تبسمت ابتسامة جافة لاتعكس فرحاً بقدر ما تصور خوفاً خفياً وقالت :

صحيح أنني أهملت القرية لظروف كثيرة مرت بنا وأعطيت السلطة في القرية لمن لايستحقها ولكن هل حدث ما يعكر صفو حياتكم إلى هذه الدرجة من الألم الذي ألحظه في عينيكَ؟!

ضايع : مؤلم يا والدتي أنك لاتعرفين معاناتنا ونحن أبناؤك، والأكثر إيلاماً أنك لاتسمعين صراخنا، وإذا أردتِ أن تعرفي صوت الصارخ تسألين جايع وأبناءه ليقولوا لك أن ما تسمعينه مجرد صراخ آل ضايع وهم يحاولون إيذاء أهل القرية.

أي.. أننا إن شكونا لا تسمعيننا، وإذا سمعتِ صراخنا كذبوا عليك وبهتونا، فانطبق علينا قول الشاعر «إن حكينا ندمنا وإن سكتنا قُهرنا».

(7)

حكومة: وماذا فعل.. آل جايع؟!

ضايع: استولوا يا والدتي على حقوقنا، ولم تكوني عادلة في تقسيم ثروتك وسلطتك على أبنائك، وعندما شعر جايع وأبناؤه أنهم أصبحوا يتحكمون في كل مفاصل القرية وجسدها بدعمك ومباركتك، أصبحت القرية لكل من هب ودب، حتى أن الإنسان يحار وهو يسير في القرية ويرى وجوهاً لم يرها من قبل وكأنه في العصر الحجري.

القرية: لم تعد القرية نفسها

والإنسان: لم يعد الإنسان نفسه

والهواء: لم يعد الهواء ذاته

والكلام: لم يعد كلامنا

ولا مخرجات النطق: مخرجاتنا

حتى الملامح: لاتكسوها بهجة قريتنا.. ولا كرم تربتها

إنها ملامح غريبة..

جائعة... لا تشبع..

ظمآنة... لا ترتوي..

خائفة... لا تطمئن..

متوجسة... كئيبة، لاتعرف الإبتسامة.

(8)

تلك الوجوه: تأخذ كل شيء من قريتنا ولا تعطي شيئاً جميلاً أو ذا نفع بيِّن، وكأنها على عجلة من أمرها كالذي وجد نفسه على كنز ويريد أن ينهبه قبل أن يعثر عليه أحد غيره.

إني أخاف يا والدتي أن يأتي إلينا ضيف تعوّد على كرمنا، فيأكله هؤلاء الغرباء الجوعى بدلاً من أن يكرموه.

ما ذنب قريتنا يا والدتي أن يكون قاصدوها غير أهل للعيش فيها؟!

ليس معهم علمُ ينتفع به
ولا مالٌ تشيد الصروح منه
ولا فكر تُنار العقول بنوره.

ثم تنهد وهو يرفع يديه إلى السماء ودعا «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وَدُعَاءٍ لا يُسْمَعُ، وَقَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَنَفْسٍ لا تَشْبَعُ، اَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَؤُلاءِ الأَرْبَعِ».

إنها يا والدتي ملامح: «المارون العابرون» الذين خاطبهم محمود درويش.

(9)

عادت حكومة لتهدىء من ثورة ضايع، ولتمثل الثقة والحكمة وهي تطلب منه أن يلقي عليها قصيدة درويش كي تفهم شيئاً من معانيها.

يقف ضايع أمام والدته وكأنه في إذاعة مدرسية، يحرك يديه في الفراغ يمنة ويسرة وبكل حماسة وجدية يقرأ على والدته قصيدة درويش :

أيها المارون بين الكلمات العابرة

آن أن تنصرفوا

وتقيموا أينما شئتم ولكن لا تقيموا بيننا

آن أن تنصرفوا

ولتموتوا أينما شئتم ولكن لا تموتوا بيننا

فلنا في أرضنا ما نعمل

ولنا الماضي هنا

ولنا صوت الحياة الأول

ولنا الحاضر، والحاضر، والمستقبل

ولنا الدنيا هنا. . والآخرة

فاخرجوا من أرضنا

من برنا. . من بحرنا

من قمحنا. . من ملحنا. . من جرحنا

من كل شيء، واخرجوا من ذكريات الذاكرة

أيها المارون بين الكلمات العابرة !

(10)

حكومة : ومن يكونون أولئك الغرباء؟!

ضايع : الله الله.. ياوالدتي... الآن تسألين؟!

إنهم لم يعودوا غرباء.. لقد أصبحوا أهل الدار وأنت ضيفة عليهم!

حكومة : ماذا تقول.. أمجنون أنت؟!

أين إبني جايع.. وما دوره في جعل هؤلاء الغرباء أهل أرضنا وقريتنا؟!

ضايع : لو كان جايع يحبك ويودك لما خان ثقتك به...

هذا هو السبب الذي جعل أمور قريتك تتجه إلى الخطر.

كل الذين ولوا أمورهم ومنحوا ثقتهم من لايستحقها تكون نهايتهم هكذا.. ضياع القرية برمتها.

حكومة : تصرخ منفعلة، لا لا.. لن تضيع القرية، أنا حكومة بنت إكحيلان..

سأقف بحزم ضد كل جايع يحاول أن يسيء ثقتي به.

(11)

ضايع : عليك أن تتذكري أن حكم العرب للأندلس ضاع في ساعات بعد حكم دام ثمانمائة عام ،بسبب وجود بعض (الجياع)

الذين استعبدتهم شهواتهم ونزواتهم وضيق أفقهم وسواد قلوبهم وقبح فكرهم، حتى حولوا البلد إلى دويلات من الطوائف المفككة. أما أنت فلست إلا حاكمة قرية صغيرة خربها جايع وقبيلته.

ألم تقرأي قصة أبو عبدالله الصغير وهو يرثي حكم أجداده أثناء سقوطه كآخر حاكم أندلسي؟!

حكومة بغضب هادىء: لا.. لم أعرف القصة..ماذا كان يقول وهو يودع أندلسه؟!

ضايع: كان يودع بالنظرات الأخيرة ملكه الضائع فوق رأس تل والدموع تتسابق السقوط فوق خديه وبجانبه أمه وزوجته ويردد شعراً يقول:

جادك الغيث إذا الغيث هَمَا... يا زمان الوصل في الأندلس

لم يكن وصلك إلا حُلُما... في الكرى او خِلسة المختلس

وعندما رأته أمه يبكي قالت له:

إبكِ مثلَ النساء مُلْكاً مُضاعاً

لم تحافظْ عليه مثلَ الرجال

لأن أمه كانت تدرك أن الدموع لا تسترجع حقاً ولا مُلكاً يا والدتي، وهذا ما يخيفني على قريتنا وعلى والدتي العزيزة.

(12)

حالم إبن ضايع.. ومايا بنت جايع: حالتا استثناء في القرية...

هما.. ابنا الأخوين المتصارعين ضايع وجايع، أبناء حكومة بنت إكحيلان.

خرجا من عباءة الجياع والضائعين، وذهبا للدراسة في أمريكا من وسط مجتمع القرية قبل أن يغرق ذلك المجتمع القروي في مشكلاته وصراعاته في الداخل ومع الخارج في المراحل اللاحقة من عمر القرية.

وفي الوقت الذي صار حالم ومايا يعيشان في واقع لا يشبه واقع القرية في شيء، وسط مجتمع متحرر من عقدة القيود، أصبح محيط القرية هناك مسرحا لبداية عالم جديد يتغير في كل أنحاء العالم.

(13)

انطلق كل من حالم ومايا إلى عالمه الجديد، بدءا من تعلم اللغة الإنجليزية في معاهد اللغة بالجامعات الأمريكية العريقة، وحتى الإنغماس في واقع المجتمع الحر، بكل تنوعه الفريد وصولا إلى التمكن من دراسة التخصصات العلمية في البلد الأكثر عراقة في العلوم والأبحاث الجامعية.

كانت مايا . . تشبه إسمها «الوهم» كوجهة نظرالقرية عنها ،

لكنها تملك إرادة أن تكون حلما قد يكون حقيقة .

بينما كان حالم يمثل «اليقين» لطموح واقع يمنح ثقته في الرجل ويسلبها من الأنثى .

كلاهما : حالم ومايا قادمان من واقع القرية الذي يسلبهما حرية الإختيار

فيجعلهما يفقدان القدرة على الإبداع . وهما يعيشان في مجتمع يمنحهما حرية الإختيار والقدرة على أن يبدعا .

(14)

الفوارق والمزايا البيولوجية للطاقات المنتجة، تتلاشى وتضمحل في المجتمع الديناميكي الذي يتعامل مع الفرد ككيان مستقل يساهم في بناء كيان جَمَعي أكثر عطاءً وإنتاجاً، بحيث تكون الفوارق والمزايا حسب العطاء وليس حسب النوع أو العرق أو التوجه .

تقول مايا لحالم بعد اليوم الأول من الوصول إلى أمريكا : أشعر أن المجتمع الأمريكي يتأسس على الفرد القوي المتميز والحر الذي يتحد مع غيره من الأفراد الأقوياء ليكوِّنوا المجتمع المتحد الأقوى، بينما يقوم مجتمع القرية على الجماعات المتحدة الهشة على حساب الفرد الضعيف مسلوب الإرادة .

(15)

حالم: هنا.. الفرد القوي بذرة لغرس مثمر، وهناك.. الجماعة مكان مغلق لمنع الهواء عن رئة الفرد.

المجتمع المدني.. مجتمع مؤسسات، ولكل مؤسسة مدنية: دستور وفكر ورؤية وهدف، لخدمة إنسان ووطن، وليس من أجل مصلحة عصبة أو عصابة.

وتكون كل المؤسسات المدنية كالروافد التي تصب في مصب واحد لتشكل دستوراً واحداً وتحمل همّاً واحداً وتخدم هدفاً أسمى، وليس كالجماعات التي تتصارع من أجل أن تكون كل جماعة هي المسيطرة أو المستبدة بالأمر.

الفكر المؤسساتي: ديموقراطي.. عقلاني، عادل.

والفكر العصبوي: إستبدادي.. غوغائي، ظالم.

(16)

حرم الجامعة يضج بالطلاب القادمين من كل صوب داخل وخارج أمريكا..

البهجة تعلو كل الوجوه المتلهفة للتعلم.

والمكان.. يثير في الإنسان فرحة غامرة ترسم في ملامحه صورة العاشق والعالم والبطل.

تذهب مايا إلى سكن مخصص للطالبات، ويذهب حالم لاستئجار شقة مؤثثة بكل وسائل التأثيث المنزلي الذي لم يكن متوفراً حينها في القرية.

تقول مايا وهي تودع حالم متجهة نحو السكن الجامعي :

سنلتقي يا ابن عمي في مقهى الجامعة، لكننا سنكون متحررين من قيودنا ونعراتنا وسوف نتعلم ثقافة الديموقراطية.

(17)

وقفت حكومة على قدميها كالمعلمة حين تنتصب قامتها أمام تلاميذها في الفصل، والقلق يطغى على ملامحها كسحابة ضباب تلتصق بقمة جبل. وفقدت جزءاً من هدوئها وهي ترفع صوتها في وجه ضايع قائلة :

ما الحل إذن كي نعيد للقرية توهجها ونرد الإعتبار للشرفاء فيها الذين اغتصب جايع وقبيلته حقوقهم، قبل أن يفلت الأمر من أيدينا؟!

ضايع: تعرفين يا والدتي أنك مهما اتخذت من خطوات ضد جايع وتابعيه، فلن تخسري شيئاً بقدر ما سوف تكسبين دعم الشرفاء من أتباعي وعودة مجدك وعنفوان سلطتك. عليك أن تعيدي صياغة الأمور بأسرع وقت، لأنه من غير المعقول أن يشعر أبنائي بأن جدتهم تنحاز في تعاملها مع أبناء عمهم جايع الذين أفسدوا في القرية وجلبوا لها أغراباً غير أهلها لا يشعرون للقرية بودّ، خصوصاً

وأن آل ضايع أوفياء ومخلصون في الوقت الذي يرتكب آل جايع كل الأعمال التي تسيء إلى سلطة جدتهم حكومة.

(18)

حكومة: لا أعتقد أن جايع بهذا السوء والخطورة.

ضايع: بل إن جايع يصرخ بين أتباعه ويقول لهم، إنه لن يهنأ بحياته حتى يكون سيد القرية، ومع ذلك لا يجدون إلا من يكافئهم ويثني عليهم برغم أفعالهم التي تسيء إلى القرية وسلطتها بدلاً من معاقبتهم.

الأمر خطير... يا والدتي.. ولا تصدقي كل ما يقوله جايع وأبناؤه وأتباعه.. إنهم فقط لاتهمهم إلا مصالحهم.. ولا تهمهم القرية ولا أمهم وجدتهم حكومة.... إنهم عصابة يا والدتي.. والعصابة ليس لها وطن تنتمي إليه!

حكومة: وما السبب الذي يدفع ابني جايع كي يخونني يا ولدي؟!

(19)

ضايع: هل نسيتِ أن والدي تزوجك بعد قصة حب، بينما لم يكن بينك وبين والد جايع أية مشاعر ود ومحبة، وإنما مجرد علاقة مصالح؟!

كان أبي يقول لي: إنك شريفة... وكان أبو جايع يقول له:

إنك خائنة، فكنتُ وفياً لك مخلصاً، وكان جايع خائناً لك عديم الوفاء، كلٌّ حسب التربية التي ترباها على يد والده.

انطلقت كلمات ضايع كالسهم المحترق باتجاه قلب حكومة وهو يذكرها برأي والد جايع فيها، وقالت بحماسة وتحدٍّ :

سأبدأ خطوات التغيير الحقيقي من الغَداة. . ماذا تريدني أن أعمل؟!

ضايع: العدالة يا والدتي أساس الملك. . . . اعدلي كي تنتصري على كل ظالم وخائن.

(20)

عادت حكومة من غرفة نومها بعد أن تلقت اتصالا من أحد الوزراء الذي نقل خبراً يؤكد صدق ما يقوله ضايع وطلبت منه أن يستمر في طرح رأيه وقد شعر ضايع برغبة والدته أن يستمر في إبداء رأيه بجرأة أقوى فقال :

أبعدي جايع ومن على شاكلته من الذين ليس لهم ضمير إنساني أو وطني، عن مراكز صنع القرار والتنفيذ.

واختاري الكفاءات المبدعة التي تناسب أماكنها في تسيير أمور القرية من دون أن تنظري إلى قبائلهم أو تفتشي عن ولائهم، ولتكن الجدارة هي معيار الإختيار وليس الولاء المزيف الذي يستطيع أن يتقمصه المرتشون والمنافقون أكثر مما يجيد تقمصه الصادقون.

ارتعش جسد ضايع كمن تعرض إلى هبة برد قارس وقال متسائلاً:

غير معقول أن أكثر القائمين بالأعمال الإدارية والإشرافية في قريتنا، هم من خارج القرية على حساب الكفاءات التي تنتجها القرية؟!

هذا لم يحدث في أي مكان في العالم. ومن يفشل في أداء مهمته بأمانة ونزاهة يحال إلى التحقيق كي يقتص منه القضاء العادل.

(21)

تجلس حكومة في مكتبها وعلى طاولتها قوائم من أسماء بعض الموظفين الذين رُفعت أسماؤهم إليها بقصد الإختيار والتعيين، كانت القوائم موزعة حسب التصنيف الطبقي والفكري والإجتماعي وليس بما تقتضيه المصلحة الخاصة بكل عمل.

دخل ضايع على والدته كي يطلع على تلك القوائم. سألته عن رأيه فرد عليها والدهشة تغطي ملامحه:

إن النظر إلى مسميات الناس يا والدتي في التعيين للوظائف والى معتقداتهم أو اتجاهاتهم الفكرية، هو من وجهة نظري: عمل قاصر ومتخلف وعنصري، وعلى الأم الحنون إن كانت تريد أن تكسب احترام أبنائها أن تكون عادلة وحازمة، ليشعر كل من أبنائها أنها أمه وليست أماً لأحدٍ دون الآخر من إخوانه.

(22)

بل أن أكثر من خانوا وغدروا بأهلهم غالباً ما يكونون من الأبناء الذين ميزتهم رعاية الأم على إخوانهم، أو الذين مارست أمهم الخيانة بشرفهم!

ولكي تكوني أماً مثالية عليك أن تكوني مدرسة تضم كل الاتجاهات الفكرية من أبنائك.

القرية يا والدتي: لا تعمر بغرس الكراهية والتنازع بين أهلها، ولا بظلم فريق لفريق آخر تدعمه الوالدة حكومة.

سوف يستغل الإنتهازيون من أبناء وأتباع أخي جايع سكوت جدتهم حكومة كي ينفسوا عن ضعفهم وحقدهم ضد ضايع وأبنائه، لذلك فالأم العاقلة لا تسلم شؤون بيتها إلى السفهاء من أولادها، وإنما تختار الرجال الأقوياء الأنقياء الذين يشعرون بقيمتهم وكرامتهم كبشر، لأن الذي لايحترم نفسه ولا يثق فيها لايمكن له أن يحترم الآخر ويعطيه حقه، بل يسعده أن يلعب على نقطة ضعف معينة كي يحقق مكاسبه.

اختاري الشرفاء يا والدتي ليكونوا نواباً لك وممثلي سياستك، لأن الخونة واللصوص لن يختاروا إلا من يشبههم، فلا تسيئي إلى تاريخك الناصع وتختاري أنذل الناس وأحقرهم!

حكومة: من يسمعك يعتقد أنني أتعمد ارتكاب الظلم!

(23)

وقفت حكومة أمام ضايع كجندي شامخ برأسه في ميدان التدريب العسكري، مبرزة صدرها إلى الأمام وحلمتي نهديها تتراقصان خلف فستان شبه شفاف وقالت بنوع من البرود المتعمد: دعني أسمعك نشيد سلام القرية الذي ألَّفته ولحنته.

تسمر ضائع في مكانه يتكلف الإنصات حين أنشدت حكومة سلام القرية :

أنا . . . أنا . . . أنا . . . أنا . .

حكومة بنت إكحيلان

أنا السماء

أنا الهواء

أنا الصحراء . . والشجر

أنا . . أنا . . أنا . . أنا

أنا الأرض . . أنا الجبال والبحر

أنا . . . أنا . . . أنا . . . أنا . .

حكومة بنت إكحيلان

أنا الماضي

انا الحاضر

أنا القادم

أنا الشمس

أنا القمر

أنا . . أنا . . أنا . .

حكومة بنت إكحيلان

أنتم . . أنا

وأنا . . أنا

أنا . . . أنا . . . أنا . . . حكومة بنت إكحيلان!

(24)

ضايع: متململاً وممتعضاً من تكرار الأنا في نشيد والدته:

آآه . . . يا والدتي . . لو سمعتِ شكوى بعض الشرفاء الأبرياء الطيبين الذين تعرضوا للإساءة والأذى من جايع وعصابته دونما سبب، لأمرتِ بالإعدام لكل من ينتمي إلى عصابة جايع الذين أساؤوا لك ولتاريخك الجميل!

الأم العاقلة الحكيمة: لا تُخضِع عقلها لعواطف المتملقين والمتسلقين على أكتاف الشرفاء!

ولا يمكن لأي إنسان على وجه الأرض أن يظل مخلصاً ووفياً لمن لا يبادله الوفاء إلا بالجحود ولا يبادله الود إلا بالجفاء!

من شيد صرحاً بالعنف. . سيتهدم صرحه بالعنف المضاد. .

من أسّس مجداً بالكراهية. . . سيتهدم مجده بالكراهية المضادة. .

من اعتقد أنه الحق وغيره الباطل سيجد نفسه ذات يوم مطالبة متهمة بأنها الباطل. .

من احتكر الحقيقة لنفسه، ستحتكره الحقيقة حتى تجعله أعجوبة وأضحوكة لكل مدع للحقيقة. .

ومن أسرف في تبرير أخطائه ستسرف الأخطاء في حقه.

هذا ما يفعله آل جايع باسمك يا والدتي، بينما تغرقين في بحر أحلام يقظتك!

تنهض حكومة من مكانها صارخة وقد همت بصفعه. . إخرس!

(25)

يستمر ضايع في حديثه وقد شعر بالقوة لأول مرة: إن جايع وتابعيه لعبوا على وتر خادع حين أوهموك أنهم يؤمنون بفكرك ويتبعونه، بينما أنا ومن يتبعني لم نبع مبادئنا كي نرضي غرور أمنا، لكننا تمسكنا بودنا ومحبتنا لك وبمبادئنا التي نؤمن بها.

الطاعة الحقيقية لا تعني أن أنافق والدتي وإنما: أن أعلن لها تميزي وتفردي الذي اختاره لي عقلي!

الطاعة العمياء يا والدتي نفاق ممقوت عند الله وعند كل شرفاء وأحرار العالم.

كوني للجميع بنظامك العادل وحضنك الذي يتسع للجميع من آل ضايع وآل جايع، كي تعود للقرية بهجتها التي غابت منذ سنين طويلة.

(26)

تحاول حكومة أن تعيد الهدوء إلى الحوار وقد شعرت أن الإنفعال أفقدها شيئاً من هيبتها:

ماذا حدث من يسمعكَ يقول أن شيئاً خطيراً يحصل؟!

ضايع: لأن جايع وأعوانه ومريديه لا يقولون لك الحقيقة... ويدغدغون فيك عواطف مريضة كي يتمكنوا من السيطرة عليك بالعزف على مخاوفك.

بل إن الأسوأ قد حدث بفعل (الجائعين) من أبنائك وأحفادك... ولا زلت لاتعرفين عُشْرَ عُشْرِ الحقيقة.

حكومة: ماذا حدث..تكلم؟!

(27)

ضايع: إفتحي عينيك جيداً يا والدتي... وأذهبي بعقلك.. لا تصدقي مايقوله بائعو الكلام وتجار الفضيلة إن كنت تودين معرفة الحقيقة.

تأملي في الوجوه وفي النظرات وفي بحة الكلمات. . . واذهبي إلى الشوارع لتشاهدي العبث بعينيك في ظل غياب البنية التحتية للقرية.

الشوارع. . مملوءة بالحفريات. . وتنعدم شبكات المياه والصرف الصحي.

والروائح العفنة. . تنتشر في الأحياء بسبب سوء النظافة وتكدس الزبالات في كل الزوايا.

والذباب والبعوض. . يغزو سماء القرية حتى غدت كسماء بغداد لحظة هجوم طائرات التحالف عليها.

والأمراض والأوبئة. . أضحت كأمراض الإنفلونزا، في الوقت الذي يتعالج وزير صحتك في ألمانيا وأمريكا، وأبناء القرية لايجدون المشافي التي تعالج حالاتهم الصعبة.

أما المدارس والجامعات: فلا تنتمي إلى العصر الذي نعيشه في شيء، والمعلمون لا يحملون رسالة علمية وتربوية.

والسموم: تلوث الفواكه والخضروات والزرع والهواء بفعل غياب الرقابة والضمير النقي.

(28)

حكومة: لكنني لم أسمع صراخاً يعكس ألماً كبيراً. . . الصراخ هو المرآة التي أرى الناس عبرها!

ضايع: لأنه لم يتبق في الصدور متسعٌ للألم كي تئن به... ولم يعد للكلام قيمة... ولا للصوت صدى!

حكومة: فماذا بقي إذن؟!

ضايع: يقول قس بن ساعدة: إذا صرت في زمن ورأيت أُمةً يتحكم جبانها في شجاعها وخسيسُها في كريمها، فأهرب إلى رابية وتأمل كثيراً تجد أن في الأمر خيانة.

حكومة: أعدك أنه لا خيانة بعد حديثنا هذا...

سأحمل كلامك محمل الجد، لأنه أتى من صادق مخلص كجرس إنذار أدركت معناه بكل جدية.

أعرف يا ولدي.. أن الصادقين مثلك لا يجاملون ولا ينافقون.. ولا يكذبون!

(29)

الصادقون: مرايا نادرة للواقع المغيب، علينا أن لانفرط فيهم، ففي غيابهم تغيب الحقائق وينتشر الزيف.

غداً ستفرح القرية... سيفرح الضائعون الشرفاء.. ويتم معاقبة كل من أساء لحكومة وللقرية.

غداً ستكون القرية.. لأهلها الذين سقوها على مر التاريخ من دمائهم حباً واستبسالاً.

ولن تكون قرية حكومة.. مجرد دكان خردوات يبيع فيه ويشتري كل جايع لايحب القرية.

وستكون قرية حكومة: مكانا للذين أحبوها وأحبتهم وليس لهؤلاء الذين لا همَّ لهم سوى أن يجعلوها سوقاً للكسب المادي.

من يحب حكومة وقريتها: عليه أن يعطي من المال الذي أعطته إياه القرية، وأن يسقي ثراها من دمه.

أما أن تصبح القرية مجرد وسيلة لكل من يريد أن يتكسب من ورائها مالاً ليس له، ووظيفة لا يستحقها فلن يدوم ذلك، وستعود القرية منارة للكرامة وإحقاق الحقوق ورمزاً لعدالة حكومة بنت أكحيلان...!!

(30)

يطل مقهى الجامعة الأنيق على ضفة البحيرة الشرقية التي تتوسط الحرم الجامعي، حيث يتوافد الطلاب لتناول القهوة وبعض الطعام ساعات الفراغ الدراسي.

في كل زوايا المقهى هناك من يقرأ كتاباً، وهناك من يقرأ جريدة. والآخرون يتبادلون أطراف الحديث عن المحاضرات وبعض الشؤون العامة.

وفي الزوايا البعيدة للمقهى تشاهد تجاذباً للحديث الرومانسي الذي يسترقه العشاق لحظات الفراغ بين محاضرة وأخرى.

حالم يجلس بمفرده على طاولة في أقصى زاوية بالمقهى، يتذكر حال القرية وهمومها وذلك الركود الذي يجثم على صدور

ساكنيها، ويتأمل في حياة المقهى وتلك الروح التي تدب فيه، ويتمنى لو أن للقرية التي قدم منها روحاً كروح المقهى.

(31)

تتقدم سارا بخطى متوجسة تحمل كتبها ودفاترها بين يديها، مشرقة الوجه باسمة المحيا فاتنة الجمال في العشرين من عمرها.

رمقت حالم عن قرب وهي تتفحص ملامحه الشرقية بنوع من الإعجاب والإنجذاب. لفت بيدها اليسرى شعراً أشقر يتدلى فوق الجهة اليمنى من صدرها لتعيده إلى خلف جيدها الملفت ببياضه، وسألته أن يسمح لها بالحديث معه.

فغر حالم فاه كالذي توقفت دقات قلبه فجأة، وبنوع من الإرتباك وبلغة ركيكة تبسم ابتسامة خجلى ثم سحب كرسياً ملتصقاً بالطاولة التي يجلس عليها، وبحفاوة عربية متكلفة دعاها أن تجلس. فشكرته وجلست.

(32)

من حين لآخر، تتحين سارا الفرصة في المقهى، كي تقضي ساعات الفراغ بين المحاضرات مع حالم وقد استلطفت الجلوس معه واستعذبت عفويته وبعضاً من سذاجته وجهله بالحياة الغربية، وكلما دار الحديث معه تغوص في أعماق فكره ومعرفته وهي المتخصصة في علم الإجتماع، ويستهويها التعرف على الطلاب

القادمين من الشرق البعيد. وكلما تعددت اللقاءات بينهما كلما أحس كل منهما بالإنجذاب العاطفي نحو الآخر واتسعت دائرة الحوار وتضاءلت حساسية التكلف التي يتقمصها حالم من وقت لآخر بسبب الخوف من عدم قدرته على الحوار بما يجعله جميلاً في عينيها.

سارا: هل أحببت يوما في حياتك؟!

شعر حالم بصدمة السؤال الذي نزل عليه كالصاعقة في الوقت الذي بدأ قلبه يخفق لأول مرة ثم رد باستحياء وخجل.. لا.

سارا: في العشرين من عمرك ولم يخفق قلبك؟!

حالم: في قريتنا لا مكان للخفق... الصراع وحده يستولي على قلوب الناس وعقولهم.

(33)

ارتسمت ملامح الفرح والإبتهاج على محيا ضايع وهو يودع والدته حكومة وقد سمع رغبتها الجادة في التغيير الذي لايحابي آل ضايع ولا آل جايع.

لمح ضايع استراتيجية ذلك التغيير كصورة معبرة تعكسها نظرات والدته الحادة وقد شعرت من خلال حوارها مع ابنها ضايع بالصدق المصبوغ بنبرات ألم حقيقية،

وما إن غادر ضايع منزل والدته حكومة عائداً إلى أتباعه وقبيلته

كي يبشرهم بالخبر الجديد الذي سوف يجلب للقرية وجميع سكانها ما يطمئنهم بولادة مستقبل زاهر، إلا وجايع يدخل غاضباً ورافعاً صوته على أمه دون أن يراعي حق الأمومة وأخلاقيات الإنسان رافعاً سبابته وهو يهددها قائلاً:

كيف تسمحين لمثل هذا الهامشي أن يدخل بيتك؟!

ارتعشت يدا حكومة تحت تأثير الصدمة وهو يهددها حتى كاد أن يصيبها الشلل لحظة الوقوع بين شعور القوة الزائل وشعور الضعف الحاصل.

ثم قالت بضعف يتقمص شكل القوة:

إنه أخوك وابن أمك، فلم تريد أن تقصيه من حقه كابنٍ لي مثلك... أم أنك قد آنست إقصاءه كإنسان والآن تريد أن تقصيه كأخ؟!

جايع: أنا الوحيد الذي له الحق أن يدعي أنك أمه وما عداي باطل!

(34)

حكومة: لكن إصرارك في احتكار أمومتي لا تعني أنك بارٌّ بي... فأنت من يجلب لي الأذى والمتاعب وأنت الأكثر عقوقاً بي.

أخوك ضايع يريد لنا جميعاً.. الحياة، وأنت وأتباعك تريدون لنا الموت لتبقى القرية لكم وحدكم..

ولم تدركوا أنه لن يكون للحياة طعم ولا معنى بدون الوجه الآخر لحياتكم وقريتكم.

جايع: ومن يكون ذلك الوجه الآخر؟!

حكومة: إخوانكم... شركاؤكم في الانتماء لي وللقرية.

جايع: أبداً ليسوا شركاءنا... الأمُّ أمُّنا.. والقرية قريتنا... ونحن أهل حق وهم على باطل.

حكومة: وهل يكون أهل الحق ظالمين؟!

(35)

جايع: لايهم من يكون الظالم.. المهم من يكون الأقوى.

حكومة: هم أقوى منكم... لكن حكمتهم تأمرهم أن لاينجروا وراء غبائكم.

جايع: من قال لك هذا؟!

حكومة: أنتم تستقوون بالسلطة التي منحتها لكم... وهم أقوياء بمبادئهم.

جايع: ولم تستبسلين في الدفاع عن ضايع وقبيلته؟!

حكومة: كلكم أبنائي وأخاف على مستقبلكم.. آل ضايع أكثر ولاءً وإخلاصاً لي منكم.

ويجب علي أن أكون في منتصف الطريق بينكما وإلا ما عدت أماً صالحة.

جايع: مادليلكِ أنهم أكثر إخلاصاً وولاءً منا؟!

(36)

حكومة: أوليتكم الثقة الكاملة فخذلتموني وختنتموني.

بِعْتُمْ أطراف القرية إلى كل غريب ولم يعد لنا من هذه القرية سوى وسطها المحاط بكل الغرباء الذين جعلتم منهم أعواناً لكم على إخوانكم.

أنت يا جايع وأبناؤك وقبيلتك: لستم إلا قطيعاً من الخونة.

أنسيت كيف بعتم مخططاً بكامله في شرق القرية لبعض الغرباء طمعا في المال من دون أن تخبروني بالحقيقة؟!

أتعرف ماذا يجب أن يكون مصيركم؟... إنه الإعدام!

جايع: مرتعشاً... الإعدام؟!

حكومة: حتى الإعدام قليل في حقكم... وهل هناك خيانة أسوأ من بيع وطن؟!

أليست القرية وطنكم؟!

جايع: لكننا لم نتربَّ على حب القرية، كنا نظن أنك الكون كله!

حكومة: من قال لكم هذا؟!

جايع: هكذا تعلمنا في مناهجنا.. أنك أنشودة الصباح..
وملهمة العقول

وأنك.. الحلم.. والطموح

وأنك.. الحق.. وعداك الباطل

وأنك.. النور.. وغيرك الظلام

وأنك.. دون سواك: الحرية!

(37)

في زاوية أخرى من المقهى.. تجلس مايا وحيدة، ترمق حالم وسارا بنظرات عابرة.

تتمتع مايا.. بجمال عربي ملفت وسط الحرم الجامعي الأشقر.

عينان سوداوان ناعستان.. شعر أسود ناعم وطويل يتدلى على نصف الجسد النحيل الممشوق.

وابتسامة جذابة تنطلق وسط شفتين في فم صغير تبرق خلفه أسنان ناصعة البياض كلون الثلج.

يغمرها الطلاب بالإعجاب ويتمنون لو أنها تبادلهم الغزل والغرام كي يعبروا عن إفتتانهم بجمالها الشرقي الإستثنائي في واقعهم الذي شبع من جمال العيون الزرقاء ولون الشعر الأشقر. لكنها برغم كبت مشاعرها، تبادلهم الإبتسامات الساحرة وتعرف حدودها في عدم الغوص العميق.

تتساءل سارا وهي تسترق نظرة خاطفة باتجاه مايا وتتوسد كتف حالم كعادة العشاق وسط المقهى: أيحق لمايا أن تختار صديقاً؟!

ينتفض جسد حالم كالذي مسّه صاعق كهربائي ويقطب حاجبيه وجبينه بما يجعله يبدو وكأنه يمثل في أحد الأفلام البدوية ليرد بعنف: كلا.. لا يحق لها أن تختار صديقاً!

سارا: وماذا سيحدث لو اختارت لها صديقاً؟!

(38)

نظرت مايا في ساعتها وقد اقترب وقت محاضرتها ولوحت لحالم بيدها من بعيد مودعة، بينما كان حالم مستغرقاً في سرحانه وهو يحاول أن يستجمع قوى عقله كي يرد على سؤال ساره المزعج ثم قال:

لو اختارت صديقاً سأذبحها.. إنها ابنة عمي يا مجنونة.. وفي عرفنا من تختار صديقاً فإنها تمارس العار الذي يجب غسله بقتلها!

سارا: لكنك لو ذبحتها هنا... سيحكم عليك القانون بالإعدام أو بالمؤبد.

حالم: بكل تأكيد لن أقتلها هنا... سأقتلها في القرية عندما نعود!

سارا: تصرخ برعب.. قبل أن يضمها حالم ليهدِّىء من روعها ثم يغادران كلٌّ إلى محاضرته!

(39)

الناس في القرية تتناقل أخباراً وإشاعات كثيرة.

حكومة.. تصدر قرارات بإحالة بعض من يمثل سلطتها من آل جايع الى القضاء بسبب ممارستهم فساداً إدارياً خطيراً تم فيه بيع مخطط كبير من الأراضي على بعض الغرباء القادمين إلى القرية.

يتحدثون عن أسماء كثيرة سقطت تحت طائلة القانون.

جارالله.. الموظف المبعد منذ سنين.

وحميدان بن راجح.. المتوفّى منذ عقد من الزمن.

وصالح دحمان.. الذي أصبح مليونيراً بفعل ممارسته الفساد ومهاجراً يمارس تجارته خارج القرية.

وبعض الموظفين الصغار.. الذين يعملون في الصادر والوارد ومطبخ الإدارة ولايزالون على رأس العمل.

(40)

يتساءل البعض في ديوانيات القرية عن السر وراء عدم ذكر المدبر الرئيسي لبيع المخطط؟

يقول أحد بسطاء القرية :

لماذا لايحيلون فرهود الفرهود الى المحكمة؟!

أليس هو من يقف وراء بيع شرق القرية؟!

يرد عليه قروي آخر: أهم شيء أن يعاقبوا أي موظف، كي نشفي غليلنا من الفساد، ولنشعر أن لدينا قضاء وقوانين، حتى ولو يقبضون على رجل يسير في الشارع لا علاقة له بالمخطط المباع ويتم معاقبته!

(41)

عجوز طاعنة في السن تطل من نافذة بيتها الطيني وتستمع الى حوار القرويين.

في يدها كأس ماء تضعه من وقت لآخر في فمها الفارغ من أسنان تساقطت مع تقادم العمر.

ثم علقت ضاحكة وساخرة:

أمحق عدل.. كيف تريدونهم أن يحاكموا البسطاء ويتركوا سمك القرش؟!

وعندما نطقت بكلمة القرش تناثر الماء من فمها منتشراً على وجوه القرويين الذين وضع كل منهم يده على وجهه إتقاء للماء المتناثر من فمها كالمطر.

يعلق أحدهم غاضباً بلهجة الشين المحلية: ليتنا من «قرشش» سالمين!

وتستمر العجوز بكل بسالة في كلامها.. عيب والله عيب.. ويل لأمة تحاكم الضعفاء اذا أخطأوا، وتترك الأقوياء.

كان أحد القرويين حريصاً أن لا تعيد تلك العجوز كلمة القرش كيلا يتناثر الماء من فمها فقال: وجه الله عليك لاتقولي كلمة القرش!

(42)

انتهى القضاء من تجهيز أوراق المحاكمات ضد المتهمين، وحضر المدعي العام وبعض أهل القرية وأهل الاختصاص.

القاضي منادياً بأسماء المتهمين: جار الله أحمد!

المتهم جار الله: نعم.

القاضي: هل شاركت في بيع المخطط؟!

المتهم جار الله: أنا شاركت في حمل الأوراق التي تحمل إمضاء فرهود الفرهود ببيع المخطط كجزء من عملي وذهبت بها إلى رئيس البلدية.

القاضي: أها... تعترف أنك حملت الأوراق...؟!

المتهم جارالله: قلت لك هذا عملي... أحمل أوراقاً كالحمار يحمل أسفاراً لكنني لا أعرف ما بداخلها.

القاضي: خلاص.. خلاص... إعتراف واضح!

أين المتهم الثاني.. حميدان بن راجح؟!

(43)

يقف شاب صغير السن: أنا ابن حميدان بن راجح. . والدي متوفّى منذ مدة طويلة قبل أن يتم بيع المخطط.

القاضي: ألم تر أباك يوماً يحمل أوراقاً رسمية معه؟!

الشاب الصغير: نعم رأيته وأنا في الخامسة من عمري.

القاضي: نحمد الله أنك كنت شاهداً نزيهاً. . . نكتفي بشهادة الإبن.

إنها إدانة واضحة لمشاركة حميدان بن راجح في بيع المخطط.

الشاب الصغير: وأزيدك من المخطط. . عفواً أقصد من الشعر بيتاً يا قاضي. .

القاضي: تفضل يابني

الشاب الصغير: مكتوب على كرتون الأوراق. . . منبولي!

(44)

القاضي: شكراً يا إبني. . . أكيد أن منبولي هو إسم الشركة التي وزعت أراضي المخطط.

ثم يرفع صوته منادياً. . المتهم صالح دحمان؟!

يرد أحد الحاضرين: هذا مهاجر من زمان ويمارس تجارته خارج القرية.

القاضي: وهذه إدانة واضحة أنه كان شريكاً في بيع المخطط. . .

أين المتهمين الصغار. . . شفلوت. . . وشعثان. . . وخيري؟!

شفلوت: وهو يبكي بحرقة قبل أن يسأله القاضي. . . والله ما بعت المخطط!

القاضي: ماذا كان دورك إذن؟!

شفلوت: موظف صادر!

القاضي: هل حملت يوماً أوراقاً مكتوب عليها منبولي؟!

(45)

شفلوت: نعم. . ياقاضي. . كنت مرة في سوق لعب الأطفال. . وكان طفلي.

القاضي: يقاطع شفلوت. . . خلاص إنتهى. .إعتراف واضح. . أين شعثان؟

شعثان: مرتبكاً. . . نعم يا قاضي السيد. . . يريد أن يقول نعم يا سيدي القاضي.

القاضي: ماذا كان دورك في بيع المخطط؟!

شعثان: بعت على شفلوت خمسة بيوت في المنبولي.

القاضي: إعتراف صريح.. ولله الحمد...

أين خيري؟!

خيري: خائفاً مرتعداً، وبصوت مرتفع وكأنه عادل إمام في شاهد ماشفش حاجة... محكمة!!

القاضي: إيش فيك الله يرجك.. والله إنك أهبل.

خيري: أقسم بالله يا قاضي أنني كنت في المطبخ أعمل قهوة للمدير في اللحظة التي كان الشباب يلعبون منبولي.

القاضي: وكنت تصب لهم القهوة وهم يتقاسمون غنائم المنبولي؟!

خيري: أي والله يا سعادة القاضي حيث إنهم يطلبون مني ان أصب لهم من قهوة المدير.

(46)

القاضي: أنا فضيلة.. ولست سعادة... تأدب في مخاطبة القضاة.

خيري: اللي تريد.. يا فضيلة.. بس أنا بريء والله بريء.

القاضي: لكنك تعترف بوجودك أثناء تقاسم غنائم المنبولي.

خيري: صحيح وكنت أصب القهوة وهم يتبايعون الفلل والأراضي..

ثم ضحك خيري وضرب على أكتاف القاضي وكأنه صديقه وقال :

بس والله لعبة حلوة يا قاضي . . عمرك مالعبتها من قبل؟!

القاضي : ينزعج من تصرف خيري . . ينهره بقوة .

خيري : يرتعش متأسفاً .

(47)

يخرج الجميع من مكتب القاضي . .

الصمت يعم ردهات المحكمة، ومشاعرالخوف تسيطر على ملامح المتهمين .

يتساءل بعض الحاضرين عن السر وراء عدم محاكمة فرهود الفرهود وبعض المتهمين الحقيقيين .

ويتساءل البعض الآخر عن علاقة لعبة المنبولي ببيع مخطط الأراضي الكبير!

تمر ساعة من الوقت قبل أن يصدر حكمه بالسجن لجميع المتهمين كل حسب الجرم المرتكب .

تتراوح الأحكام بين الخمس سنوات والعشرين سنة .

كان أعلاها الحكم على خيري بعشرين سنة كونه كان يصب القهوة للموظفين في الصادر والوارد وهم يتقاسمون غنائم مخطط المنبولي!

(48)

صباح ممطر وقطرات الثلج تتساقط على المدينة. .

سارا تنتظر حالم في زاوية المقهى وتعيش لحظات ازدواج في مشاعرها تجاه حالم الذي تكره فيه النعرة الشرقية التي ترفض حرية المرأة في اختيار معشوقها، في الوقت الذي يمارس الرجل حرية اختياره كيفما يريد. وتشعر بمشاعر حب حقيقية تجاهه لا تستطيع أن تخفيها. وبينما هي مبحرة داخل نفسها المضطربة بسبب ازدواجية التفكير والمشاعر، وإذا بحالم ومايا يدخلان المقهى وهما يقهقهان فرحين بسقوط الثلج الذي لم يتعودا على رؤيته في القرية وقبل أن يسلما على سارا تقول مايا لحالم: أيكون الثلج انعكاساً لروح المجتمع؟!

يرد حالم بسخرية: لو سلمنا بنظريتك. . لقلنا أن الغبار أيضاً انعكاس لروح المجتمع الآخر!

(49)

ترحب سارا بحالم ومايا وعلى ملامحها معالم غيرةٍ واضحة، تدرك مايا سر تغير ملامح وجه سارا وتقدر شعور غيرتها، لتطلب منهما الإستئذان وتذهب إلى زاويتها البعيدة.

يقول حالم مخاطباً سارا: أتغارين من مايا؟!

سارا: بل أشعر بنار تشتعل في أحشائي.

حالم ضاحكاً وساخراً: أتبيحين قتلها لو تزوجتها؟!

سارا: برغم غيرتي منها.. فإن تربيتي لم تغرس فيَّ الكراهية ونزعة القتل ضد حرية الآخر... نحن هنا نتربى على الحب وليس على الكراهية، ونؤمن في حرية الإختيار والقرار التي لا تبيح موت الإنسان البريء!

(50)

تصل أخبار المحاكمات إلى كل الناس في القرية.

آل ضايع.. مستاؤون لعلمهم أنه تم الإلتفاف على أوامر حكومة، القاضية بالتغيير والاصلاح.

وأنه بدلاً من محاكمة المجرمين الفعليين، قامت المحكمة بمقاضاة البسطاء وصغار الموظفين والتضحية بهم كيلا يتم اكتشاف الفاعل الحقيقي.

يذهب ضايع مسرعاً إلى والدته حكومة، طرق بابها الموصد، ترد الخادمة.. من بالباب؟!

تسمع حكومة صوته لتقول للخادمة إفتحي الباب إنه ضايع.

يدخل ضايع بملامح تكسوها الحسرة والعتب الشديد... يرى والدته متمددة على سريرها تطبخها الحمى...

ما بك والدتي.. أمحمومة؟!

(51)

حكومة: من ذا الذي لم يتعرض للحمى يا ضايع في وقتنا الحالي. . .؟!

تصمت قليلاً ثم تستمر في ردها: كلنا محمومون ومهمومون يا ولدي.

ضايع: هل جاءك خبر المحاكمات الفضيحة؟!

حكومة: نعم. . . وشعرت بالصدمة مثلما شعرتم.

كلما حاولت أن أضبط اللصوص. . ضبطوني. .

لقد أصبحوا عصابة امتدت أصابع خطرهم حتى وصلت مكاتب القضاة.

ضايع: والقرية بدون قضاء عادل. . . كليلة ظلماء بدون بدر. .

وكل في ليلته الظلماء معرض للدغ الأفاعي.

(52)

حكومة: أعرف يا ولدي. . . لقد بلغ الفساد في قريتنا مداه ولن يفيد معه أي إصلاح. . إنه يحتاج إلى الإجتثاث.

ضايع: كان خطأك يا أمي. .أنك تريدين أن تصلحي واقعاً فاسداً بالعناصر نفسها التي كانت سبباً في الفساد.

لايمكن لقاض شارك في فساد أن يكون عادلاً في حكمه.

ولا يمكن لكاتب عدل شارك في سرقة الكثير من المخططات أن يكون كاتب عدل في قضية التحقيق لمخطط مسروق.

وعندما تريدين التحقيق في مشكلة، فلا تضعي الخصم أو المتهم ليكون هو المحقق أو القاضي.

لأنك بفعلك هذا ترسمين تهمة حول نفسك!

حكومة: أحياناً أخشى أن أكون أنا المتهمة، لأن الذين منحتهم الثقة في الماضي ربما أساؤوا لي ولإسمي.

ضايع: إذا لم تكوني جزءاً من الحل.. فأنتِ جزء من المشكلة! وإذا كنت واثقة من نزاهتك فابدأي بالمحيطين بك.

من اتضح أنه كان يستغل قربه منك ليسيء للناس وللقرية باسمك فليكن أول من يجب أن يحال إلى المحكمة.

ولْتختاري القضاة من مختلف الشرائح الذين لم يشاركوا في فعل يسيء إلى نزاهتهم.

مشكلتك ياوالدتي.. أنك بنيتِ حولك سياجاً لايدخله إلا من منحتهم الثقة، ولم تَدَعي أهل القرية يراقبون الداخلين إلى عالم أسوارك!

هؤلاء المحيطون بك استغلوا الأمر وعملوا لخدمة مصالحهم ومحاربة كل من يعترض على أفعالهم التي لاتنسجم مع قيم ومصالح القرية.

(53)

أسنوا الناس في قرية حكومة دون أن يتغير واقعهم. . . حتى أصبحوا كالميكروبات الضارة.

وما هذه الحمى التي تسيطر على حكومة إلا نتيجة لتلوث كل شيء يحيط بها.

عندما تركد بركة الماء تأسن مياهها، حينها لا بد من التجفيف الكامل، وإلا لفتكت جراثيمها بكل حي.

رش المبيدات لم يعد مجدياً لقتل الحشرات الضارة المنبعثة من ماء البركة او البحيرة الآسن.

التجفيف هو الحل للقضاء على الأوبئة الخطيرة مثلما يكون الاجتثاث هو الحل النهائي لمكافحة سوسة النخل في غياب العلاج الحقيقي القاضي بفناء السوسة. . . هكذا كانت حكومة تفكر في صمتها وهي تتأمل بعمق.

(54)

حكومة: آآآه. . . يا ضايع. . . ما أكثر السوس في قريتنا!

ضايع: أعرف يا والدتي. . . وما أكثر المستعدين للعمل معك من أجل القضاء على السوس. . إن كنت حقاً جادة في القضاء عليه؟!

حكومة: وهل لديك شك أنني لا أريد مكافحة السوس البشري؟!

ضايع: أشعر أحياناً... أنك أصبحت أسيرة للسوس وكأنك النخلة المصابة به ولست المسؤولة عن مكافحة التسوس.

حكومة: تضحك رغم الحمى، حتى كاد أن يسقط لحافها من فوق قدميها اللتين ترتعشان من المرض وترد قائلة:

إنني حقاً كالنخلة المصابة بالتسوس، ظاهري مثمر... وأعماقي حزينة كلما رأيت الذين ضحيت من أجلهم يسيئون لي!

(55)

من وحي المرض أدركت حكومة أن النهوض بصحة الجسد يحتاج إلى تقوية مناعة الجسم بالتغذية السليمة من جهة، وتطعيم الجسم بمضادات الڤيروسات، كي يكون الجسم محصناً تحصيناً تاماً ضد الغزو الفيروسي، وتوفير بيئة نظيفة تمنع وجود الميكروبات وتكاثرها حتى لاتفتك بصحة الجسد.

وإذا أصبح الجسم قوياً ومعافى من الأمراض فإنه بالتأكيد سوف يكون لائقاً لاحتواء الروح.

وكلما كانت الروح سامية القيم، عالية التربية، مستنيرة الفكر، كلما انسجمت مع الجسم السليم، ليكونا ثنائية راقية تخلق عالماً جميلاً يكون مساحة لممارسة العطاء الإبداعي، بعيداً عن ممارسة الفساد الذي يفتك بالقرية مثلما تفتك الجراثيم بصحة الجسد.

(56)

أدركت حكومة: أن الروح المريضة في الجسد المعافى، كالروح المتعافية في الجسد المريض:

معادلة عرجاء لا تنتج عدداً صحيحا وفعلاً إيجابياً ما لم تكن الروح متعافية في جسمها السليم.

ولكي تتحقق تلك المعادلة الإيجابية أيقنت حكومة أن لا طريقة لتحقيقها إلا عبر تأسيس إدارتين هامتين :

إدارة العلوم والتربية والمعارف

وإدارة الصحة.

على أن تقوم إدارة العلوم والتربية والمعارف بإنشاء المدارس التي تقوم على أسس تربوية وعلمية ومعرفية تنشىء أجيالاً تنهض بالقرية. وتكون مهمة الصحة المحافظة على حياة تلك الأجيال بما يجعلها قادرة على مواصلة العطاء بنجاح وتفوق.

(57)

كوَّنتْ حكومة فريقاً من أبناء القرية كي يذهبوا إلى كل دول العالم بحثاً عن فلاسفة وشعراء ومفكرين وفناني رسم وتشكيل وموسيقى ليكونوا معلمين في مدارس القرية.

ثم شرعت في بناء مدارس على شكل تحف فنية معمارية بحيث يجد الدارس نفسه في حدائق ترتقي بروحه وعقله أثناء

تلقيه الدروس التي تنهض بفكره التعليمي من جهة، وبفكره الروحي من جهة أخرى دون أن يتعرض إيمانه وفكره إلى أي نوع من القسر.

وأدركت حكومة أنها بهذه الخطط التعليمية والصحية تضمن أنها قد بنت روحاً سامية وفكراً مستنيراً لإنسان القرية.

موقنةً أن الفساد والظلم والتخلف لا توجد إلا في واقع: أرواح أهله لم تسمو... وفكرعقولهم لم يستنِرْ!

(57)

ستقوم إدارة الصحة ببناء مستشفيات تهتم بصحة أهل القرية إهتماماً حقيقياً، بشرط أن تشارك إدارة الصحة أولاً في إيجاد بيئة نظيفة عبر نظافة الشوارع والأحياء وتربية الناس على نظافة البيئة وتمديد كل البنى التحتية من مياه محلاة وصرف صحي إلى كل بيت، وأن تحرص أيضاً على سلامة هواء البيئة من كل تلوث.

وسترسل فريقاً يذهب إلى كل أنحاء العالم المتطور بحثاً عن أطباء خبراء في الصحة.

وعندما تضمن أنها قد أمنت لأهل القرية صحة الجسم وصحة الروح، فإنها بكل تأكيد تكون قد منحت العقل فرصة أن يفكر بعيداً عن مرض الروح ومرض الجسم... وهنا يكمن الإبداع وتحقق القرية نهضتها.

(58)

كانت حكومة تفكر بعمق وهي تتخيل فكرتها تتحقق. .

وكان ضايع يتابعها وهي تحدث نفسها حين قالت له وقد سقط المنديل الأخضر الذي يغطي شعرها دون أن تشعر بسقوطه وكأنها أرخميدس وهو يكتشف قانون الطفو: وجَدْتُها يا ضايع وجَدْتُها. . . ثم حكت له فكرتها.

ضايع: رائع. . يا والدتي. . أتمنى أن لا تقتلي هذه الفكرة فتسلمي خطتها لصناع الفساد كي ينفذوها.

حكومة: أبداً. . . سأختار من ينفذها من أقطار العالم المتطور. . . ما دام أنهم سبقونا في الحضارة والتقدم.

سأبدأ من حيث انتهى الأمريكيون والفرنسيون والألمان والصينيون. سآخذ أجمل ما عندهم.

ضايع: ومَنْ سوف يختارهم لك؟!

حكومة: سأرسل فرقاً تمثل التربية والتعليم والمعرفة وفرقاً تمثل الصحة.

(59)

ضايع: لكن المشكلة. . كعادة العرب يا والدتي. . أن تذهب فرقنا لتختار أسوأ ماعند الغرب والشرق فتفشل خطتك.

العربي مصاب بعقدة الفشل يا والدتي!

يذهب بعض العرب للبحث عمن يرشوهم ويرسل لنا الفاشلين كي يعلموا أبناءنا ويعالجوا مرضانا!

حكومة: أراك متشائماً من كل خطوة نخطوها في سبيل الإصلاح والتغيير.

ضايع: أخشى أن يندس آل جايع وسط الفرق المرسلة فيجلبون لنا سباكين وجزارين كي يكونوا أطباء في مستشفياتنا.

.. ويكون معلمونا مجرد عمال مزارع، أو فاشلين يتم الزج بهم في مدارس أبنائنا، فتتحول المدارس إلى أوكار لتعليم الشقاوة غير المنضبطة.

(60)

حكومة: ولم تظن دائما أن آل جايع يريدون تخريب وإفشال كل خططي؟!

ضايع: لأنهم لن يهنأوا بحياتهم حتى يكونوا قد قاموا بإقصائك عن رئاسة القرية مادام أنهم قد أقصوا كل الناس الذين يخالفونهم الرأي والرؤية والمصلحة.

هم يعرفون أن كل فشل يرافق خطتك ويحبط نيّاتك ويشوه أهدافك يصب في مصلحتهم ويقوي ما يسعون إليه من تشويه لسمعتك.

صحيح أنهم يتظاهرون أمامك بالولاء لك... لكنهم يسعون جادين للقضاء عليك.

حكومة: لاتيأس يا ولدي.. إنني أعرف متى أُرضعهم حناناً ومتى أفطمهم عن دلالي...

إنهم أولادي وأحفادي.. أستطيع أن أعيد عجن عقولهم متى ما أردت!

(61)

عادت الوفود من الخارج... ومعهم خبراء التعليم والطب الأجانب..

خرج أهل القرية كباراً وصغاراً.. رجالاً ونساءً، فرحين مبتهجين بوصول الوفود والخبراء الذين سوف يشاركون في تطوير القرية وإنسانها، كان الاستقبال في مطار القرية حافلاً بالأهازيج الشعبية والفلكلورات الطربية المتنوعة.

تتقدم حكومةُ جموعَ المستقبلين، مرتديةً فستاناً زهرياً مشجراً يعكس حالة الفرح والنشوة، وعلى يمينها يقف ابنها ضايع الذي لا تبدو على ملامحه البهجة وهو ينظر إلى الوفود والخبراء وهم ينزلون من سلم الطائرة واحداً بعد الآخر، بينما يقف جايع على يسار والدته حكومة وعلى ملامحه يرتسم المكر وابتسامة صفراء تخبىء وراءها شيئاً يعرفه عن هؤلاء القادمين من خارج القرية لخدمتها.

تلتفت حكومة إلى يمينها مخاطبة ابنها ضايع المتجهم الملامح: لا أراك فرحاً يا ضايع ككل المستقبلين...اليوم عيد من أعياد القرية أليس كذلك؟!

(62)

يرد ضايع بلغة مرتبكة ومتوترة: لفت انتباهي سحنة الخبراء وملابسهم.. كأنهم من قريتنا أو من الدول المشابهة لثقافتنا وخبراتنا!

حكومة: أتظل كعادتك... تشك في كل صغيرة وكبيرة؟!... ثم التفتت يساراً إلى ابنها جايع وقالت :

تبدو أكثر ابتهاجاً من أخيك ضايع.. أليس كذلك؟!

جايع بخبث ومكر: صحيح.. يا والدتي العزيزة، بل إنني في قمة سعادتي وأنا أرى هؤلاء الخبراء يتهيأون للقيام بمهامهم التي سينفذونها على أكمل وجه!

حكومة: وما يدريك وأنت لم تتعرف عليهم؟!

جايع وقد أحس بفلتان لسانه: أبداً.. مجرد تفاؤل، ألا يحق لي أن أتفاءل؟!

حكومة: بلى. بلى.. لكنني حائرة بين تشاؤم ضايع وتفاؤل جايع، ثم همهمت لنفسها..أخشى أن يكون المتشائم على حق، والمتفائل على باطل.. وتكون حكومة ضحية الصراع بين الحق والباطل، لأنها لم تنصر حقاً ولم تحارب باطلاً!

(63)

هكذا هي سنة الحياة، يتصارع الخير مع الشر في كل الأزمنة..

كلما كان الإنسان مسؤولاً عن سلطة واتخاذ قرار يكون أيضاً مسؤولاً عن نجاح مشروع أو فشله.

ثم يكون أمام فرصة نادرة في الإنحياز مع الخير ضد الشر ومع الحق ضد الباطل ومع الجمال ضد القبح ومع العقل ضد العاطفة ليحصد النجاح ضد الفشل.

تكون الرؤية أكثر ضبابية لمن يجد نفسه بين فئتين تتصارعان على الوصول إلى السلطة.

وتكون الأمور في منتهى الخطورة عندما ينحاز صاحب القرار للفئة الأكثر انتهازية ويكون انحيازه :

إمّا بسبب ضبابية الرؤية التي حجبت عنه الحقيقة،

أو بسبب قوة وتأثير الفئة الأكثر انتهازيةً.

حينها يتخذ المسؤول قراره الخطأ في الزمن الخطأ!

(64)

كانت تلك الكلمات خواطر عابرة تدور في ذهن حكومة وهي تتأمل في ملامح ولديها التي تعكس شخصيتين متغايرتين:

تعيش حكومة لحظات صعبة، تتجاذبها عواطف الأمومة تجاه ابنين متصارعين، وخوف الفشل الذي قد يؤدي إلى ضياع القرية، إمّا بسبب الصراع الذي قد يتحول في أي لحظة بين أتباع

كل من أبنائها المتضادين إلى صراع عنف لا تستطيع حكومة أن تسيطر عليه، أو بسبب الإنحياز الخاطىء لفئة لا يكون همها النهوض بمصلحة القرية والإرتقاء بها كي تكون ذات يوم مدينة ولها كيانها المدني المتطور.

(65)

ومثلما يكون الانسان ضحية الصراع بين الإنحياز إلى جانب الحق أو جانب الباطل، يكون ضحية صراع مشاعر الإنحياز إلى أحد الابناء المتصارعين.

والأكثر إيلاماً على النفس المترددة في الإنحياز واتخاذ القرار هو أن يكون القرار أخيراً إنحيازاً في الجانب الأقرب إلى الباطل.

حينها تكون النتيجة بحجم الخطأ وتكون الخسارة مضاعفة وقد خسرت حكومة إنتماء الإبن الأكثر ولاءً وصدقاً وإخلاصاً.

وأصبحت القرية في يد الطامعين إلى الإستيلاء على سلطة القرية، ليس بغرض التطوير والتغيير وإنما بهدف التسلط!

ولكي تخرج حكومة من كآبة التفكير أملاً في اختيار القرار الصائب، قالت لنفسها وكأنها تحدث شخصاً يحدثها :

سأدع الخبراء يعملون تحت مراقبتي وإشرافي، حينها سأقرر من يكون المحق من أبنائي ومن يكون على باطل... بعد ذلك سأقرر مصير القرية.

(66)

اقترب قائد سيارة حكومة منها ليسألها إن كانت ترغب المغادرة . .

انتهت لحظات الإستقبال يا سيدتي وأنا أسمعك تحدثين نفسك عمن يكون على حق ومن يكون على باطل.

تتوجه حكومة إلى سيارتها وتأمر قائد السيارة أن يغادر باتجاه القصر، ثم تسأل قائد السيارة: ومن تعتقد أنه يملك الرؤية الثاقبة؟!

قائد السيارة: يا سيدتي. . . كل الآراء الصائبة والرؤى الثاقبة تنبثق من حرية الرأي الذي يمثله مجلس يضم كل النخب التي يهمها مستقبل القرية. ومن الخطأ أن تضعي قرار مستقبل قرية بكاملها بيد ضايع أو جايع، لأن التصادم بينهما يجعلك فاقدة الصواب، ولا يمكن لك أن تتخذي قراراً يؤدي إلى إنجاح رؤيتك التطويرية للقرية وأنت حبيسة الصراع بينهما.

حكومة: أتتهم أبنائي بالخيانة؟!

(67)

قائد السيارة: كلا يا سيدتي. . . لكن القرية للجميع وليست ملكاً لأبنائك. . .

وعندما تدركين تلك المعادلة الغائبة عن ذهنك ستصلين إلى الحل الذي ينقذك من أن تكوني ضحية لصراع أبنائك وتنقذي القرية

من التفكك الذي سيكون مصير كل من سلّموا أمرهم لكل من يستفرد بالقرار.

الخيانة يا سيدتي: نتيجة حتمية لكل فعل أناني.. بل إن القرآن خاطب الناس محذرهم قائلاً ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤].

وأعتقد أنهم يكونون أكثر عداوة عندما يطمعون في مال أو سلطة!

حكومة: عجيب أنت... قائد سيارة وتملك فكراً؟!

قائد السيارة ممازحاً: يكفي أنني أقود سيارةً مَنْ تقود القرية... أنا القائد الحقيقي يا سيدتي.. لكنني قائد بلا صلاحيات.

(68)

باشر الخبراء أعمالهم كلٌّ في مجال تخصصه في وزارتي الصحة والتعليم.

كانت الفرق التي ذهبت لاختيار الخبراء من الخارج قد تم اختراقها من قبل جايع وأعوانه،

فذهبوا إلى دول لا تختلف كثيراً في تطورها عن حياة القرية، وقد ركز جايع وأعوانه على اختيار عينات من الخارج يمكن أدلجتها بسهولة، أو توظيفها بما يخدم سياسة الأدلجة.

بل إنهم فطنوا مبكراً أن الأكثر قابلية للأدلجة، هم الأكثر حرصاً على قبض المال مقابل الأدلجة والأقل كفاءة علمية وأدبية وإبداعية، وقد شعر جايع أنه بجلبه لهذا النوع من الخبراء يحقق أهداف عدة في هدف واحد تكمن في الآتي :

تشكيل جيل مؤدلج يتم السيطرة على عقولهم بسهولة.

محاربة النابغين والمبدعين والأقوياء الذين يمكن أن تبزغ إبداعاتهم فيقودوا القرية عكس ما يخطط له جايع وأتباعه.

عن طريق الخبراء المؤدلجين يستطيع جايع وأتباعه تخريب المشاريع الصحية بما يساعد على انتشار الأمراض وخلق إنسان واهنٍ هشّ.

وكذلك تفريغ التربية والتعليم من محتوياتهما، ليتم تنشئة أجيال بلا أخلاق وبلا علوم نافعة، وإذا ما أدرك أهل القرية خطورة ما تم التخطيط له للإضرار بإنسان القرية يكون ذلك دافعاً للناس كي تثور ضد حكومة بنت إكحيلان ويتم استغلال الفرصة كي يقفز جايع وقبيلته إلى كرسي حكم القرية وقد وجدوا مجتمعاً هشاً مكسراً مفككاً يحمل الكثير من الحقد والإنتقام على كل شيء يمثله حكم حكومة ومناصريها، ما يجعلهم يسيطرون على الحكم بما يضمن لهم فترات طويلة يستبدون فيها بحكم أهل القرية وسرقة ثرواتها التي بدأت تزداد اكتشافاتها مع مرور الوقت دون الإستفادة منها بسبب سياسة حكومة الإقتصادية الفاشلة.

(69)

باشرت فرق الخبراء أعمالها في مشاريع الصحة والتعليم، وقد بدأت حكومة متفائلة في الوقت الذي لايزال ضايع مرتاباً يسيطر عليه التشاؤم.

كانت خطة الخبراء أن يبدأوا أولاً بالتعليم لتخريج جيل من المتعلمين الذين يتم توجيه بعضهم للعمل في المشاريع الصحية، وبدأ التعليم يمارس سطوته على عقول أولئك الشباب المنتمين إلى القرية والطامحين إلى خدمة قريتهم والمشاركة في تطويرها بما يجعلها في مصاف المدن المتقدمة.

مر الزمن سريعاً. . . وتخرج العديد من أبناء القرية في مختلف المجالات العلمية.

منهم من اتجه إلى القطاع الصحي ومنهم من اتجه إلى بقية القطاعات الأخرى.

كانت التقارير تصل الى حكومة بنت إكحيلان وفيها شيء من الغموض وبعض المخاوف.

(70)

تقرير رقم 1: تغير في شكل المعلمين وملابسهم وطريقة مخاطبتهم للتلاميذ.

تقرير رقم 2: المنشآت التعليمية بشقيها تصبح أكثر كآبة من الماضي وقد انعكس ذلك على نفسيات التلاميذ وسلوكياتهم.

تقرير رقم 3: انحدار في مستوى الخدمات الصحية وانتشار العديد من الأمراض في مجتمع القرية.

تقرير رقم 4: انتشار ظاهرة لغة خاصة بين أنصار آل جايع وبعض الخبراء القادمين من الخارج فيها نوع من التكلف الإيماني المزيف.

تقرير رقم 5: ازدياد حالات الشذوذ الجنسي في مدارس الأولاد وكذلك السحاق في مدارس البنات.

تقرير رقم 6: انحدار في قيم وأخلاقيات مجتمع القرية.

تقرير رقم 7: بروز ظاهرة التنافس المادي والتجاري والنفاق الإجتماعي بين أفراد المجتمع كافة وعلى أثرها انتشر الفساد المالي والإداري في مؤسسات القرية.

تقرير رقم 8: تفشي ظاهرة الفساد الإداري والمالي والرشوة والوساطة.

تقرير رقم 8: ملاحظة ظهور حالات انفصام في شخصية أفراد المجتمع أدت إلى انتشار ظاهرة العنف التي قد تتطور إلى حالات عنف أكثر خطورة ربما تؤدي في النهاية إلى الإضرار بأمن القرية القومي.

(71)

كانت حكومة تستلقي على أريكتها المرتفعة قليلاً عن الأرض تحت شجرة اللوز التي تحب الجلوس عليها في حديقة منزلها،

قرأت التقارير كاملة قبل أن تسقط على الأرض مغشياً عليها ليتم نقلها إلى المستشفى حيث تأكد للأطباء إصابتها بجلطة دماغية.

زارها ابنها ضايع في المستشفى بعد غياب طويل وقلبه يعتصره الألم بسبب مرض والدته التي لم تستمع إلى نصائحه الصادقه وبسبب إدراكه أن مستقبل القرية قد أصبح مهدداً بخطرالإنهيار... قالت له والدموع تتساقط من عينيها :

أين كنت يا ضايع كل هذه المدة؟!

ضايع : هذه مشكلة كل الحكام الدكتاتوريين يا والدتي... لا يسألون عن المخلصين والصادقين.. إلا عندما يرون الخطر يحدق بكراسيهم!

حكومة بنت إكحيلان: لكنني كنت أسأل عنك باستمرار.. وكنت كثيراً ما أستشيرك!

ضايع : صحيح... لكنك تستشيرينني ولا تأخذين بكلامي... وسؤالك اليوم يذكرني بسؤال شاه إيران لأحد المخلصين المنفيين عن مجلس الملك الذي سأله الشاه عن سبب ابتعاده عنه، لكن السؤال جاء في اللحظات الأخيرة من عمر الحكم الشاهنشاهي!

(72)

دخل قائد سيارة حكومة للاطمئنان عليها وقد سمع حوارها مع ضايع فقال :

الحمد لله على السلامة. . لايزال في العمر بقية يا سيدتي إن أخذتِ بنصيحتي.

قالت وقد نسيت نصيحته: وماذا كانت نصيحتك؟!

قائد السيارة: برلمان يا سيدتي يمثل شرائح القرية. . دَعْكِ من ضايع وجايع.

يتدخل ضايع متسائلاً وماذا كان خطأي؟!

قائد السيارة: يا سيدي ليست المشكلة في من عمل الخطأ ومن لم يعمله!

وتدخلت حكومة قائلة: فما المشكلة إذن

(73)

قائد السيارة: المشكلة أن يغيب الناس يا سيدتي عن المشاركة في بناء مستقبل قريتهم. . .

قلت لك سابقا إن القرية ليست ملكاً لك ولأبنائك، القرية يبنيها ويملكها الجميع ويجب أن يقرر مصيرها ومصير مستقبلها كل من ينتمي إليها، ولايكون ذلك إلا بتأسيس برلمان يمثل الشرائح القادرة على السير بالقرية نحو دروب الإستقرار والأمان، بعيداً عن صدق ضايع وحسن نيته، ونيات جايع ومؤامراته وأعوانه وخبرائه الذين جلبهم كي يسيطر بهم على عقول الناس بعد أن أدلج فكرهم حتى جعلهم أدوات طيعة في يديه يلعب بهم كيفما يريد.

حكم القرية يا سيدتي يجب أن لايخضع لحسن نيات ضايع،

لأنه لو تمكن من السيطرة على السلطة مثلما فعل أخوه جايع لتحول إلى مستبد ظالم مثله، ولا يجب أن يخضع للذين يتقمصون ملابس التقى والفضيلة مثلما يفعل جايع وأعوانه حتى وصلوا بالمجتمع إلى ما وصل إليه من تخلف وفقر ونزاع ورذيلة.

(74)

تصرخ حكومة: فإلى من يؤول الأمر؟!

قائد السيارة: إلى إرادة شعب القرية يا سيدتي!

حكومة: سآمُرُ بتشكيل برلمان يمثل الشعب إذا كان الأمر سيحل المشكلة التي تلوح في أفق القرية.

قائد السيارة: لكن الأمر ليس بتلك السهولة يا سيدتي... القرارات لا يتم طبخها في غرف المرضى.

حكومة بنت إكحيلان: وماذا يتحتم عليّ بعدُ أن أعمله؟!

(75)

قائد السيارة: الإقتناع أولاً بأن الزمان لم يعد هو الزمان نفسه.. وأن فكر الانسان قد تغير، وعندما تقومين من وعكتك هذه معافاة تبادرين بعمل الخطوات اللازمة للإنتخابات البرلمانية الحرة والنزيهة، كي يتم وضع دستور يقوم عليه حكم القرية ويشرع للأنظمة والقوانين التي تنظم الحياة وترسخ قيم العدالة والحرية والمساواة وتحميها.

حكومة بنت أكحيلان: وهل.. تعتقد أن برلماناً منتخباً.. ودستوراً بأنظمته وقوانينه الجديدة قادر على إصلاح ما أفسده الدهر... أقصد ما أفسده جايع وأعوانه؟!

قائد السيارة: أن نصل متأخرين.. خيرٌ من أنْ لا نصل... والحكم الديموقراطي يجب أن يكون بناءً جديداً على أنقاض ما قبله.. وليس ترقيعاً باسم إصلاح!

(76)

لم تتخذ حكومة أي قرار بشأن الانتخابات البرلمانية.

الناس في القرية يترقبون، والإشاعات تسري بين الناس كالنار في الهشيم. والفساد ينتشر في جسد ومفاصل الوزارات والإدارات.

ظواهر عنف تبرز هنا وهناك بطرق مختلفة. وفي الوقت الذي ينتظر مجتمع القرية تغييراً تعلنه السيدة حكومة بنت إكحيلان، يتفاجأ الناس بظهورٍ لها من نوع آخر.

خرجت حكومة على شاشة التلفاز في مقابلة مع أحد المذيعين تتحدث في تلك المقابلة عن الحياة كعاشقة وليس كحاكمة.

كانت ملامح وجهها المتزين بمساحيق الماكياج وتلك الإبتسامة المتصابية على شفتيها الموغلتين في الشيخوخة تنبىء عن فرح معين ومشاعر جديدة عكست شعوراً مطمئناً لدى الناس من أول وهلة وهم يشاهدون سيدة القرية تظهر بتلك الملامح المتفائلة

بعد سنوات من الخوف وعدم الاستقرار والكآبة وفي ظنهم أن ذلك الفرح المشع في عيني حكومة يعكس ما سوف تعلنه من قرارات جديدة تخص أوضاع القرية وشعبها.

(77)

كانت القرية تسهر مع تلك المقابلة التلفزيونية في ليلة مقمرة وطقس حار، ظهرت حكومة على الشاشة مرتدية فستاناً سماوياً شفافاً في بعض زوايا الكتفين وحول الصدر، منقوشاً ببعض الألوان الصفراء والبنفسجية ذات الخيوط الصغيرة المموجة. يُرى خلف تلك الألوان شيء من الجسد الذي لم يتعود سكان القرية على رؤيته.

رفعت حكومة شالاً أخضرَ يغطي نصف شعر رأسها من الخلف قبل أن تجلس على كرسي المقابلة. التفتت يميناً وشمالاً لتوزع ابتسامة أكثر جاذبية من قبل. ابتسامة عاشقة تعيش قصة حب جديدة. وكان الناس المتسمرون أمام شاشات التلفزيون يشعرون بشيء من الإنجذاب العاطفي تجاه حكومة كلما تصابت في حركاتها وكلماتها، فضلاً عمّا يعكسه ذلك اللباس الجميل في ألوانه وتصميمه من جاذبية.

لم يتعود سكان القرية أن تخاطب حكومة عواطف العشق فيهم وهي التي كانت تظهر عليهم في السابق متجهمة الوجه عاقدة الحاجبين بملامح أقرب إلى التخويف والتهديد منها إلى الملامح الودودة.

(78)

كلما توقع المشاهدون أن تبوح حكومة بالقرارات المرتقبة يرونها تبوح بأشواقها الجديدة، وهواياتها التي لم تبح بها من قبل قط، في ممارسة الرياضة، وعشقها لصوت فيروز وموسيقى باخ وموزارت وبيتهوفن، وممارستها للتزلج في جبال الألب والتحليق بالبراشوت فوق شواطىء البحر الأبيض المتوسط.

تتوقف حكومة بين لحظة وأخرى لتخرج من حقيبتها الوردية الصغيرة ملطِّفاً وملون شفائف أحمر اللون كي تمرره فوق شفتيها وكأنها عازف كمنجة ماهر، وكلما تحركت أصابعها فوق الشفتين، تحركت مشاعر المشاهدين وفغرتْ أفواههم مترقبين خبراً ساراً بعد كل لحظة توقف. لكنهم ما إن تبحر في لُجّة بوحها العاشق للحياة الجديدة حتى يتمنى الناس أن لاتصدر قراراً بقدر ما تستمر في إدهاشهم بجاذبيتها ودلعها وتصابيها.

(79)

المذيع: الناس تنتظر خبراً ساراً من السيدة حكومة تفصح عنه في هذه المقابلة.

حكومة: قلبي مفعم بالحب الذي لم يتذوق طعمه من قبل بهذه القوة أبداً... متفائلة إلى درجة لا تتخيلونها...

إنه الحب أيها الناس: يمارس سحره في القلوب ليعيد لها

الحياة من جديد كلما أوشكت أن تموت.. ثم ضحكت وقالت بغنج: حُبّوا تصحّوا!

الناس... تشاهد أمسية العمر، سيدة القرية الأولى تفصح عن حبها لأول مرة في ليلة انتظار القرارات الجديدة التي سوف تؤسس لبناء قرية حديثة. إنها القرارات القادمة في جوف الحب. وكلما كان القرار صادراً برضى ومحبة كلما كان أثره أقوى ونتائجه عظيمة!

يتهامس بعض الجالسين من الناس في المقاهي وهم يشاهدون حكومة تعبر عن مشاعرها العاطفية.

(80)

يقول أحدهم بعد أن فتح علبة الماء وسكبها بسرعة في فمه المفتوح باتجاه السماء، وبصوت ممزوج ببقايا الماء:

أتعيش حكومة قصة حب جديدة مع الشعب؟!

يرد عليه الجرسون المتنقل بين زبائن المقهى برشاقة من تسترق اذناه كلام الجالسين في المقهى وهو يقهقه بسخرية:

وهل هي أحبتكم من قبل كي تعيش معكم قصة حب جديدة؟!

وعلق آخر: من كانت تحب في السابق.. ومن سوف تحب في اللاحق؟!

الجرسون: أتمنى أن تحب حكومة شعبها، لأن حب الشعب يحافظ على بقاء حكومة وقوتها.. ويساعد على تطوير الشعب

والقرية، لكني أخاف أن يكون قلبها قد تعلق بحب أجنبي. . عند ذلك نقول: ومن الحب ما قتل!!

سألها المذيع التلفزيوني سؤالاً أخيراً: هل يمكن أن تفصح السيدة حكومة عن ذلك الحب الجديد؟!

ضحكت حكومة بدلال طاغ ورددت فلكلوراً شعبياً بصوت مرتفع: يا سليمان قلبي مولع. . ماتولع بغير أجنبي.

وقبل أن تودع مشاهديها وقد سلبت مشاعر قلوبهم. . ولم تقنع عقولهم أو تشفي غليل انتظارهم قالت: ستعرفون قريباً لمن خفق قلبي، ورددت بيتاً من أغنية نجاة لنزار قباني متصرفة في كلمة منه:

متى ستعرف كم أهواكَ يا رجلاً

أبيع من أجله «القرية» وما فيها

(81)

لا حديث في القرية سوى ما يتناقله الناس عن حب حكومة. من يكون سعيد الحظ ذلك الذي فاز بقلب ست الكل وسيدة القرية؟!

يداعب أحد القرويين زوجته قائلاً: وما يدريك يا ميمونة. . قد أكون معشوق حكومة وساكن القصر القادم، فتصبح حياتنا جنة ونعيماً بعد سنيّ البؤس والفقر؟!

يلمح غضباً في وجه زوجته فيبادرها مستجدياً رضاها: لا تخافي لن أطلقك. . ستكونين خادمة القصر!

ميمونة: بعد أن رمت صحناً تعجن فيه شيئاً من الطحين لتعد وجبة الغداء فتطاير العجين في أركان الغرفة مشكلاً رسما يشبه وجه رجل:

وهل أصاب الجنون حكومة كي تعشق رجلاً لا فرق بينه وبين العجين؟!

ثم استمرت قائلة: ليس في القرية رجل يستحق الفوز بقلب حكومة!

زوج ميمونة: ولم لا؟!

(82)

ميمونة: ليس في رجال القرية.. رجل يعشق الحرية!

زوج ميمونة: وهل حكومة تعشق الحرية كي تبحث عن الرجل الحر؟!

ميمونة: مهما كانت المرأة سادية النزعة فإنها تعجب بالرجل الذي لايخنع لمستبد أو استبداد.. حتى لو كانت في منزلة حكومة!

زوج ميمونة: لكنني رأيت رجالاً ليسوا أحراراً تعشقهم النساء!

ميمونة: العلاقة بين عبدين ليست عشقاً وإنما شهوة مازوشية!

فجأة.. يدخل أحد الأبناء.. وقد سمع بعض المحاورة بين والديه ثم تساءل وقال: وما نوع الإبن الناتج عن شهوة مازوشية؟!

نهرت ميمونة ابنها بصوتها الجهوري مبتعدة عن المكان خوفاً من المزيد من أسئلة الإبن الشقي وهي تجيب على سؤاله بخجل:

وهل ينجب المازوشيان غير العبد الذليل؟!

(83)

حركة دؤوبٌ تجري داخل القصر.. رتابة وشائعات تسري في شوارع القرية.

لا كلام عن الإصلاح، ولا عن الإنتخابات البرلمانية التي توقف الإستعداد لها بما يوحي أن حكومة قد صرفت النظر عن برلمان منتخب.

لكن الناس بانتظار الإعلان عن معشوق حكومة القادم.

أيكون المعشوق القادم لحكومة هو الشعب ويرى الناس قرارات قوية تنهض بالقرية ابتداءً من انتخاب برلمان يمثل شعب القرية؟!

أم يكون عشيقاً سيتزوج حكومة؟!

العقلاء يخشون أن يذهب العشق بقلب حكومة بعيداً عن إصلاح وضع القرية المترهل...

والعامة ينتظرون بحماس زائد فرصة التعرف على معشوق حكومة.

(84)

يقول أحد حكماء القرية: أهم شيء أن لايكون معشوق حكومة من خارج القرية، لأن عشق الغرباء يفقد الحاكم محبة شعبه...

ثم يستذكر التاريخَ موضحاً لأولئك المتجمعين حوله أن الأجنبي لايهمه إلا المصالح.

ويقول أحد القرويين البسطاء: هذا قدرنا منذ عقود مع حكومة.. كلما لاحت فرصة للتغيير رفّ قلبها لمن يشغل عقلها عن شعب القرية..

وغنّى شيئاً من أغنية قديمة مودعاً الجالسين حول ذلك الحكيم قائلاً: حب إيه إللي أنت جاي اتقول عليه؟!

(85)

شوارع وأزقة القرية تتشح بالكآبة نتيجة تراكم القاذورات وإنطفاء الكهرباء وتسرب مياه الصرف التقليدية وسوء قيادة الناس لمركباتهم، إلا الشوارع المحيطة بقصر حكومة حيث تضج بالحركة والأنوار وتتزين بالعقود المضيئة وتعكس نظافة وتنظيماً.

الأسعار ترتفع.. والبطالة تتزايد.. والعاطلون يجوبون الشوارع بحثاً عن مخدر أو لارتكاب جناية في ظل تردي الأمن وغيابه.

تتعطل الأعمال في إدرات القرية، عدا ما يكون عن طريق الرشوة.

وترتفع وتيرة الغضب.. والإمتعاض.. والنكتة الساخرة، قبل أن يعلن التلفزيون الرسمي موعد زواج حكومة بعشيقها القادم من بعيد المسافة... ليتربع على عرش قلبها الذي لا يمل ممارسة العشق، وسوف يكون موعد الزواج بعد عام من إعلانه.

(86)

يأتي ضايع إلى والدته حكومة.. مباركاً بحزنٍ.. ومعاتباً: أهذا وقت العشق يا والدتي؟!

حكومة: وما المشكلة يا ضايع.. سأتزوج على سنة الله ونبيه!

ضايع: لكن القرية وشعبها.. أهم من خفقة قلب، وعناق حبيب، واشتعال عاطفة، وإرواء شهوة!

حكومة: وماذا تريدني أن أعمل مع قلب يتمرد كلما تردى حال الواقع؟!

ضايع: أخاف أن يضيع القلب ويضيع الشعب وتضيع القرية بسبب تمرد القلب واستسلام صاحبته لخفقه المتأخر!

(87)

أطل المساء على حكومةَ وضايعَ وهما يتحاوران وسط صالة

تشرف على حديقة غرب المنزل.. كان الشفق ينسحب بحمرته التي ينعكس لونها على وجنة حكومة الخالية من المساحيق لتكشف عن ملامح نَخَرها التقدم في العمر عكس ما شاهده الناس في تلك الأمسية التلفزيونية، التي ظهرت فيها حكومة أكثر شباباً وأناقة وجمالاً.

تغني فيروز (الله معك يا هوانا) وعلى طرف النافذة يغرد عصفور.

قالت حكومة وهي تخاطب ضايع بعد أن زفرت من صدرها تنهيدة العاشق المتيم: وهل يستطيع الإنسان أن يبدع شيئاً بدون حب؟!

امتعض ضايع من سؤالها وقال ببرود: ما أجمل الحب عندما لايكون على حساب مصير شعب..

الحب الذي لا يأتي في الوقت الضائع من عمرك وعمر القرية وشعبها يا والدتي!

(88)

قبل أن تستاذن حكومة إبنها ضايع لتأخذ حماماً ثم تدخل غرفة الكوفيرة والمساج وعمل المساحيق وصبغة الشعر إستعداداً للقاء رومانسي مع الحبيب القادم بعد ساعات، قالت له والشوق يلتمع في عينيها الغائرتين وسط التجاعيد وتضحك بدلع: شعب إيه إيه اللي أنت جاي تسأل عليه؟!

ثم غادرت الصالة وعلامات الدهشة والحيرة ترتسم فوق ملامح ضايع وهو يودع المكان مغنياً أيضاً: يا ليلُ الصَبُّ متى غَدُهُ.. أقيامُ الساعةِ موْعِدُه؟!

(89)

في الوقت الضائع من عمر القرية الذي نسي الناس فيه هموم قريتهم تلهفاً لمعرفة من يكون عشيق حكومة وزوجها القادم الذي لن يفصح عنه القصر سوى ليلة العرس بعد عام سوف يمر طويلاً وبطيئاً.. تحول كل مكان في قصر حكومة إلى ذكرى جميلة للحظات الحب التي تعيشها سيدة القرية مع عشيقها في الفترة التي اختارتها لممارسة الغرام الذي ينعش النفس في عز ظلمتها وضعفها وطغيان كآبتها عليها.

انفصلت حكومة عن حياة القرية لتعيش عالماً مفعماً بالأمسيات الحالمة والليالي الحمراء، وأوكلت مهام القرية إلى وزرائها، ثم أغلقت أبواب قصرها أمام جايع وضايع وكل الأقارب والأصدقاء والمستشارين إلا من بعض القائمين على خدمة القصر وسيدته، الذين لايعكرون مزاجها بالأخبار التي لا تسرّ بال أحد، الذين يقولون لها دائما أن كل شيء في القرية يسير على مايرام.

(90)

في غمرة الإنفصال بين حكومة والشعب، تبنى حواجز وتتهدم جسور، ويظل الإتصال الوحيد بينها وبين وزرائها بالهاتف. وقد تم

إعطاء الأوامر من قبل وزير إعلام القرية للوسائل الإعلامية أن لا تنشر خبراً أو تحقيقاً يفضح خللاً أو يتحدث عن فساد أو يعكس توتراً في المجتمع.

تنغمس حكومة في ملذات العشق الجديد... دون أن تصل إليها أخبار ولديها (جايع وضايع) التي انتشرت في بيوت القرية كلها.

مرض فيروسي خطير ينتشر في جسد جايع... ومرض الإنفصام النفسي (شيزوفرينيا) يصيب عقل ضايع..

وكلما استبد المرض بجسد جايع شعر آل جايع أنه مرض فيروسي مُعْدٍ ينتشر كالوباء في جسد القرية.

وكلما ازداد انفصام ضايع اتساعاً، كلما شعر آل ضايع أنهم منفصمون مثله. حتى أصبح الناس في القرية منقسمين إلى فريقين مريضين؛ فريق يسري في جسده السرطان الفيروسي، وفريق يفقد عقله. إضافة إلى فريق ثالث لاينتمي إلى هذا الفريق أو ذاك.. لكنه مصاب بالحيرة والتبلد!

(91)

في صالة المغادرة بالمطار، كانت مايا في قمة أناقتها وهي تودع زملاء الدراسة، فرحة بحصولها على شهادتها كطبيبة متخصصة في مكافحة أمراض الفيروسات، تقهقه بضحكة يسمعها كل الجالسين في صالة المغادرة.

وينزوي حالم المتخرج بشهادة دكتور علم نفس في زاوية بعيده، يلبس بنطالاً من الجينز وقميصاً أبيض وشعره الطويل يغطي أكتافه، وعلى عينيه نظارة سوداء تخفي ملامح باكية وحزينة، يتجاذب أطراف الحديث الرومانسي بهمس خلف عمود في أقصى الصالة الكبيرة مع سارا التي تذرف دموعها بغزارة، وقد لبست شيرتاً أبيض وعليه صورة لوجه حالم تتساقط الدموع عليه حتى خُيِّل للحاضرين أن عيون الصورة المعلقة على صدرها تذرف دموعاً هي أيضاً.

وكلما اقترب وقت إقلاع الطائرة ارتفع صوت بكاء سارة، وقهقهة مايا في الزاوية المقابلة، ومن يرمق وجه حالم، يرى دموعا تتساقط خلف النظارة السوداء كالمطر المنهمر من السماء بدون رعد أو برق.

(92)

تقترب لحظات الوداع، ونظرات الحضور تتجه نحو حالم وساره... يتعانقان بحرارة، يمتزج صوت بكائهما، وتختلط الدموع بالدموع، ويعلو صوت النحيب المتبادل.

تقول سارا وهي تودع حالم والدموع تغسل وجهاً أبيض احمرت وجنتاه من شدة البكاء: لا أعرف كيف سأعيش الحياة بدونك... أحبك!

يرد حالم: أغادر عالمك الجميل يا سارا.. إلى عالمي

المجهول.. أعيش الصراع بين عقلين وقلبين داخل جسدي المنهك، لا أعرف مصير مستقبل قريتي.

تقترب مايا من حالم وتشده من يده مودعة سارا وهي تبتسم ثم تأمره وكأنها قائد عسكري: للأمام سر..!

(93)

جلست حكومة على أريكة من خشب السنديان في حديقة القصر التي تطل على بحيرة صغيرة.. وبجانبها لورنس وقد أصبح المستشار والرئيس غير المتوج للقرية.. تمد له كأساً من الشاي الأخضر ومعه قطعة شوكولاته سويسرية ثم تبادره وعلى وجنتيها ابتسامة ساخرة لتقول له: الشعب يريد برلماناً منتخباً فما رأيك؟!

لورنس: قبل أن يثوروا عليك..دعيهم ينشغلون بالصراع فيما بينهم..

فإذا ما ثاروا تستطيعين أن تجري انتخابات برلمانية مزورة أو مؤدلجة.. أو.. وسكت!

حكومة: أو..ماذا.. ألديك شيء آخر تريد أن تقوله؟!

لورنس: عندما تحين اللحظة الحرجة أستطيع أن أدلك على الحل المناسب فلدي من الخبرة ما يكفي!

(94)

حكومة: المهم أن نستمتع بوقت خطبتنا قبل أن يحل موعد

زواجنا.. ثم اقتربت منه متلهفة ومسكت يديه بيديها الساخنتين، تجر صدره باتجاه صدرها وهي تردد قول الخيام على لسان أم كلثوم:

أَطفىءْ لظى القلب بشهد الرضاب.. إلى أن قالت: فإنما الأيام مثل السحاب. ثم لثمت فمه بقبلة كادت أن تمزق شفتيه!

سَعِدَ لورنس بسماع الأغنية وبحرارة القبلة وردد الأغنية بلهجته فقال:

أَتفي لَذَا الكلبِ بشهد الرتاب.. فإنما الأيام مثل السهاب.. وضحكا معاً.

لملم لورنس شعره الذهبي الناعم ومسح فمه من بقايا حمرة علقت بشفتيه وقال: سننهي الكثير من الأعمال قبل أن يحل موعد الزفاف!

(95)

الأخبار تنتشر بسرعة داخل القرية..

جايع يصاب بغيبوبة وينقل إلى وحدة العناية المركزة بمستشفى القرية..

ضايع يتم إدخاله إلى مصحة الأمراض العقلية، وحكومة تغرق في حبها الجديد دون أن تدري عما يدور في القرية.

الحزن يعم القرية والوجوم يكسو ملامح الناس أينما كانوا في المنازل والمقاهي الصغيرة.

يقول أحد سكان القرية: أشعر أن سرطان جايع قد انتشر في جسد القرية كلها، وأن أهل القرية قد أصيبوا بالإنفصام الذي أصاب عقل ضايع.

ويقول آخر: القرية مصابة بالسرطان والإنفصام.. نصفها في العناية الفائقة ونصفها الآخر في المصحة العقلية!

(96)

جلست مايا بجانب حالم في الطائرة المتجهة من أمريكا إلى قرية حكومة بنت إكحيلان.

مسحت دمعة عالقة على خده وقالت: أخرج من هزيمة العاطفة لينتصر فيك العقل.

حالم: العاطفة هي وقود العقل.

مايا: بل الفكر وقود العقل.

حالم ؛ الفكر هو الأُكسجين للعقل.. العقل بلا فكر.. يموت.

أما العاطفة الجياشة: فهي الوقود المحفز للعقل كي يحلق بعيداً في سماء الخيال.

تعمقت سارة في عينيه الباكيتين حتى ثمالة العشق وشعرت بخفق يجذبها إليه: المهم أن نخلع الحزن يا حالم.. القرية تحتاجنا.

حالم: لقد تعلمنا فكراً جديداً، ولغة جديدة، وثقافة جديدة، لكن ما تعلمناه سيصطدم برتابة القرية وروتينها وبيروقراطيتها.

(97)

تنهد حالم تنهيدة كبيرة كادت أن تشق صدره:

أخشى أن تقتل القرية فينا الخفق والعلم والفكر.. بعد أن أحيت الغربة فينا الإنسان الذي تشوه بفعل مناخ وظروف القرية.

ما أعظم قول الإمام علي «خير البلاد ما حملك»!

وهل هناك ما هو أعظم من مكان يحملني للعيش بحرية؟!

مايا: وللإمام علي قول آخر يشد انتباه عقلي «الفقر في الوطن غربة.. والغنى في الغربة وطن».

الله ما أعظمه من قول.. أيقصد الفقر والغنى المادي أم أن المعنى مجازي في قوله؟!

حالم: ينطبق التعبير الظاهري على المعنى المادي للغنى والفقر، لكنه بكل تأكيد يتجاوز التعبير في معناه الفلسفي ليعبر عن الفقر والغنى الفكري والعلمي والحضاري. وكلما ازداد الواقع ثراء فكرياً وعلمياً، كلما كان أقرب للرفاه الحياتي البعيد عن الإسراف الذي يمثل حياة الناس.. الأدنى تمدناً وتحضراً.

مايا: ويقولون أن الإمام علي.. إمام المتقين، بل هو إمام العقل الذي لا يتقي!

(98)

في مستشفى القرية ومن دون علم حكومة بنت إكحيلان: فارقت روح جايع الحياة بعد معاناة طويلة مع المرض الذي استشرى في جسده.

وفي المصحة العقلية: فقد ضايع عقله دون أن تصل الأخبار إلى القصر.

وفي ليلة ذلك اليوم الحزين أقيم الزفاف الرسمي لزواج حكومة من خطيبها وعشيقها لورنس القادم من الغرب.

تمت مباركة الشعب عبر الإذاعة والتلفزيون بمناسبة إنجاب حكومة لمولودتهما ليلة الزفاف وقد سمياها (مصيبة).

كان هناك هرج ومرج في ردهات مستشفى الولادة.. كيف سيكتب إسم مصيبة؟!

مصيبة بنت لورنس.. أم مصيبة بنت حكومة؟!

ستكون مصيبة بنت لورنس.. لو أصبح إسم والدتها «حكومة لورنس».

أو تكون مصيبة بنت حكومة بنت إكحيلان.. لو بقيت حكومة على إسمها الأصلي «حكومة بنت إكحيلان».

وفي ذروة الهرج والمرج والنقاش.. وصلت أخبار مصائب القرية إلى حكومة، قبل أن يتم اختيار النسب المناسب لمولودتها

مصيبة، فحدثت المصيبة الكبرى بانتحار حكومة بنت إكحيلان، وهرب لورنس عائداً إلى بلاده وتاركاً خلفه ابنته مصيبة تواجه مصيرها المأسوي قبل أن يتحدد مصير نسبها!

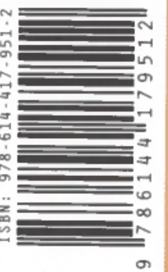
حكومة بنت إكحيلان

رواية

في الوقت الضائع من عمر القرية الذي نسي الناس فيه هموم قريتهم تلهفا لمعرفة من يكون عشيق حكومة وزوجها القادم الذي لن يفصح عنه القصر سوى ليلة العرس بعد عام سوف يمر طويلاً وبطيئاً .. تحول كل مكان في قصر حكومة إلى ذكرى جميلة للحظات الحب التي تعيشها سيدة القرية مع عشيقها في الفترة التي إختارتها لممارسة الغرام الذي ينعش النفس في عز ظلمتها وضعفها وطغيان كآبتها عليها .

إنفصلت حكومة عن حياة القرية لتعيش عالماً مفعماً بالأمسيات الحالمة والليالي الحمراء، وأوكلت مهام القرية إلى وزرائها، ثم أغلقت أبواب قصرها أمام جايع وضايع وكل الأقارب والأصدقاء والمستشارين إلا من بعض القائمين على خدمة القصر وسيدته، الذين لايعكرون مزاجها بالأخبار التي لا تسر بال أحد . الذين يقولون لها دائماً أن كل شيء في القرية يسير على مايرام .





ISBN: 978-614-417-951-2



بيسان